جامعة بيرزيت.

كلية الدراسات العليا .

برنامج التاريخ العربي الإسلامي .

أثر التهجير عام 1948 على الوضع الإجتماعي والإقتصادي في مدينة رام الله" (1948 1960 –) . "

" Effects Of The 1948 War On The Social And Economical Situation In Ramallah City (1948-1960) "

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ العربي الإسلامي .

إعداد

محمد عمر مصطفى

الرقم الجامعي 1055057

إشراف الدكتور

عبد العزيز عياد

2007/2008

أثر التهجير عام 1948 على الوضع الاجتماعي والاقتصادي في مدينة رام الله " (1948 - 1960)) "

" Effects Of The 1948 War On The Social And Economical Situation In Ramallah City (1948-1960) "

إعداد : محمد عمر مصطفى

إشراف : د. عبد العزيز عيّاد

تاريخ المناقشة : 05/06/2008

لجنة الإشراف والمناقشة :

د. عبد العزيز عيّاد ..... رئيساً

د. موسى سرور ..... عضواً

د. غسّان محيبش ..... عضواً

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ العربي الإسلامي من كلية الدراسات في جامعة بيرزيت – فلسطين

أثر التهجير عام 1948 على الوضع الاجتماعي والاقتصادي في مدينة رام الله " (1948 - 1960)) "

" Effects Of The 1948 War On The Social And Economical Situation In Ramallah City (1948-1960) "

إعداد : محمد عمر مصطفى

إشراف : د. عبد العزيز عيّاد

تاريخ المناقشة : 05/06/2008

: لجنة الإشراف والمناقشة

د. عبد العزيز عيّاد	**رئيساً**
د. موسى سرور	**عضواً**
د. غسّان محيبش	**عضواً**

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ العربي الإسلامي من كلية الدراسات في جامعة بيرزيت – فلسطين

الإهداء

إلى أبي وأمي اللذين كانا سببا في
وجودي.....
إلى زوجتي ساحرة وأبنائي الذين سهروا معي وصبروا
طيلة هذا المشوار . إلى جميع أعضاء الهيئة التدريسية
في كلية الدراسات العليا قسم التاريخ العربي الاسلامي
في جامعة بيرزيت أقدم هذه الدراسة.

كلمة شكر

أشكر كل من ساهم في إنجاح هذه الورقة البحثية , حتى وصلت إلى مستوى رسالة. وأخص بالذكر , الدكتور عبد العزيز عياد المشرف على هذه الرسالة , والدكتور موسى سرور , رئيس دائر التاريخ والآثار , والدكتور غسان محيبش العضو المشارك في نقاش هذه الرسالة مشكورا.

هذا بالإضافة إلى جميع المؤسسات والأفراد , الذين كانت لهم بصمة في إنجاح هذه الرسالة , ولا سيما محكمة رام الله الشرعية , وبلدية رام الله , ومؤسسة إحياء التراث في القدس , وكنيسة ديرالآتين , دير الروم الآرثذوكسية وغيرها.

الباحث

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالى : " ذلك الكتاب لا ريب فيه ".حق وصدق أن القرآن وحده خال من أي خطأ ، وإنه أصدق الكتب على الاطلاق . وحشانا نحن البشر , أن تخلو كتاباتنا من أي لغو.

فالآراء و الأمزجة , تختلف من انسان لآخر , إلا أن الكل فينا يحاول أن يصل في كتاباته , إلى أرفع مستوى , لا يضاهيه أحد . إلا إن التفاوت في العلم , والمعرفة والكتابة , موجود حتى قيام الساعة . لذا يصدق الله تعالى في قوله: " وفوق كل ذي علم عليم ". صدق الله العظيم.

الباحث

فهرس المحتويات

الرقم	الموضوع	الصفحة
1	ملخص الدراسة	ر
2	المقدمة	ص
3	رام الله قبل نكبة عام 1948	2
4	الموقع و السكان	3
5	رام الله تحت الانتداب البريطاني	12
6	هجرة اهالي رام الله الى الخارج قبل عام 1948	13
7	الحالة الاقتصادية والاجتماعية في رام الله حتى عام 1948	16
8	اسماء رؤساء بلدية رام الله حسب التسلسل الزمني	25
9	خاتمة الفصل الاول	29
10	هوامش الفصل الاول	30
11	الفصل الثاني	35
12	الهجرة و الاندماج	36
13	الهجرة من منظور اسرائيلي	38
14	اللجوء	41
15	الاندماج الاجتماعي	45
16	الاوضاع المعيشية في رام الله بعد عام 1948	50
17	اثر المهجرين على الوضع الاقتصادي في رام الله بعد عام 1948	57
18	خاتمة الفصل الثاني	64
19	هوامش الفصل الثاني	65
20	الفصل الثالث	70
21	الاندماج الاجتماعي في رام الله واثره على الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية	71
22	بدايات الاندماج	72
23	مظاهر الاندماج الاقتصادي بين المهاجرين و السكان المحليين في رام الله	76

الرقم	الموضوع	الصفحة
24	التحولات الاقتصادية في رام الله بعد النكبة	80
25	التحولات الاجتماعية التي ظهرت في مجتمع رام الله	88
26	خاتمة الفصل الثالث	95
27	هوامش الفصل الثالث	97
28	خاتمة الدراسة	101
29	قائمة المصادر و المراجع	104
30	الجداول	
31	الملاحق	

فهرس الجداول

الرقم	الشكل	الصفحة
1	شكل رقم "1" ويظهر عدد سكان رام الله تبع للسنوات السابقة للنكبة	9
2	شكل رقم "2" ويظهر المبالغ التي كانت تدفعها رام الله لخزينة الدولة العثمانية	18
3	شكل رقم "3" ويظهر عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين بالآلاف	39
4	شكل رقم "4" ويظهر أعداد المهجرين بالآلاف حسب توجههم عام 1948م	40
5	شكل رقم "5" ويظهر عدد المحال التجارية في رام الله	77
6	شكل رقم "6" ويظهر عدد المهاجرين إلى رام الله, كهجرة داخلية	93

ملخص الدراسة

رام الله هي إحدى المدن الفلسطينية الواقعة في منتصف فلسطين تقريبا . والتي لم تلحق بالكيان الإسرائيلي إلا بعد عام 1967, لذا فقد نجت مـن التهجير القسـري , الـذي لحـق بمـدن الـداخل كيافـا , وحيفـا , واللـد , والرملـة , وقيساريا , وبئر السبع , الخ.....

هذه المجموعة من المدن, كانت مجتمعة لتشكل مع رام الله , وبيت لحم , وأريحا والخليل, وجنين, ونابلس, وغزة, وخان يونس, ودير البلـح , وغيرهـا مـن المدن , كل فلسطين. إذ لا فواصل تفصل هذه المدن عن بعضها البعض .

بعد النكبة عام 1948 , خسرت فلسطين الكثير من المدن الساحلية والجبلية ووقعت تحت حكم الإحتلال الإسرائيلي بالكامل , ولكن الأهم هو تهجير عشرات الآلاف من الفلسطينيين إلى أماكن شتى , في داخل فلسطين وخارجهـا . فكـان

توزيـع المهجريـن مختلفـا داخـل الـوطن , وكـان نصـيب رام اللهـ أكـثر المـدن الفلسطينية وجودا لهم . إما على شكل مخيمات , أو مندمجين مع السكان .

كانت رام الله محط أنظار العديد ممن هاجروا إليها قبل حرب عام 1948 , فقد قصدها الكـثير مـن العـائلات , مثـل الأعـرج والصـفدي والعجلـوني ودبينـي والرفيدي والجاعوني والربضي . كونت هذه العائلات النسيج الإجتماعي لرام الله مـع العـائلات الأصـلية لهـا , أولاد راشـد الحـدادين الـذين كونـوا اسـماء عـائلات مترابطة من جد واحد , مثل, حداد , ويوسف , وجغب , والفار , والشقرة الخ....

ألحقت رام الله بالمملكة الأردنية الهاشمية إثر النكبة عام 1948, اسوة بباقي مدن الضفة الغربيـة , إلا ان الحكومـة الأردنيـة , لـم تعمـل علـى ازدهـار وتطوير المدن في الضفة الغربية , بل تعدت ذلك وآثـرت الضـفة الشـرقية علـى الضفة الغربية , ولكن العائدات الوافدة من أبناء رام الله في المهجر عوضت رام الله اقتصاديا , فكان العمران الواسع , والحركات التجارية الآخذة بالنمو والإزدياد , , والتي استفاد منها أهالي رام الله وغيرهم .

اندمج المهجرون مع غيرهم من سكان رام الله , وهذا اصبغ رام الله صبغة لم تكن تعرفها من قبـل , فعمـل الجميـع مـن أجـل النهـوض بـرام اللهـ , متناسين الخلفيات العائلية والفروق الدينية , وهذا ما كان واضحا في المصـاهرة بين الجميع دونما تمييز .

كانت الهجرة من أبناء رام الله إلى أمريكا , عاملا مساعدا في اندماج المهجرين في المدينة , حيث استفادوا من الخلخلة السكانية التي حدثت , وتوفير فرص العمل الكثيرة التي خلفها المهاجرون في بيئة رام اللهـ الـتي كـانت تعتمـد اعتمادا كبيرا على الزراعة وتربية المواشي , لذا فقد دخل المهجـرون فـي هـذه الحقول الزراعية , بل سيطروا عليها مستقبلا وأصبحت لهم مـن خلال الشـراء أو الإرث الناتج من المصاهرة , وعلى قسم منهـا سـيطر المهجـرون , لعـدم وجـود مالك يشرف على الأرض أو المحل التجاري مباشرة , لكون النسـبة الكـبيرة مـن سكان رام الله في المهجر

حصل في رام الله تطور هائل وكبير , من جراء اندماج المهجرين بـالمواطنين الأصـليين علـى الصـعيدين الإجتمـاعي والإقتصـادي . فقـد تغيـرت العادات الإجتماعية بين السكان , وأدخلت عادات وتقاليد لم تألفها رام اللهـ مثـل قبـول الإختلاط , ومشـي الشـاب مـع الفتـاة , والتمركـز حـول الأسـرة النوويـة والإبتعـاد عـن العائلـة . وبعـدها حـل الحـزب السياسـي محـل العائلـة , وغلبـت المصلحة الشخصية على المصلحة العامة . ثـم تغيـرت اللغـة مـن اللغـة الريفيـة التقليدية إلى اللغة المدنية , كالتأثر بلغة مدن الساحل . هذا بالإضافة إلـى تغييـر فـي نمـط اللبـاس ' فبـدلا مـن الثـوب والشـال والسـروال للمـرأة , والطربـوش والسروال والدماية والعمامة للرجل والمداس , إلى البرنيطة والجاكيت والحـذاء الفاخروالمطرزات بأشكالها .

أما من ناحية إقتصادية , فيكفي الإستنتاج أن رام الله قد تحولت مـن بيئة زراعيـة , إلـى بيئة تجاريـة مـن الدرجـة الأولـى , واسـتطاعت أن تسـتقطب غيـر المهجرين , الكثير من المهاجرين إليها كهجرة داخلية , اعتـبر رأس المـال الوافـد من المهجر , أهم الدعامات التي ارتكزت عليها رام الله في بداية الأمر . وهجـرة الكثيرمن أبنائها , فتح آفاقا كبيرة للأيدي العاملة فـي مجـالي الزراعـة أولا , إلـى دخـــــــولهم فـــــــي المجـــــــال التجـــــــاري لاحقـــــــا . تحول هام قد حصل في رام اللهـ بعـد قـدوم المهجريـن اليهـا , ألا وهـو وجـود مؤسسات وجمعيات ومراكز إسلامية, مع حضور بارز للمساجد والأعياد الإسلامية , التي كانت مغيبة تماما .

Abstract

Ramallah is one of the Palestinian cities located nearly at mid Palestine; and it was not occupied by to Israel except after 1967. So it is escaped the coercive deportation which occurred to the Palestinian inside cities such as Yafa , Haifa , Al-Lud , Ramaleh , Qisaria and Bier Al Sab'e ...etc.

This group of cities collectively together with Ramallah, Bethlehem,

Jericho , Hebron , Jinin , Nablus , Gaza , Khan Younes , Dier Al Balah and other cities formed whole Palestine , as there are no junctures separating these cities from each others .

After 1948 Nakba (the Catastrophe) , Palestine had lost many coastal and mountainous cities and fully occurred under the Israeli Occupation Regime . But the most important is the deportation of tens thousands of Palestinian to various places inside and outside Palestine . Therefore the distribution of the Palestinian deported people was different inside the home land . So the share of Ramallah was most proportion among the other Palestinian cities , either in camps or integrated with the population.

Ramallah was under the sigh of many people who migrated to it before 1948 War. Many families came to it such as : Al-A'raj Family , Ajlouni Family , Debini Family , Rafidi Family , Ja'ouni Family and Rabadi Family . These families formed the social structure of Ramallah together with its original families , the sons of Rashed Al Haddadin who established the names of correlative families descended from one grandfather , such as Haddad , Yousef , Jagab , Al Far , Al Shakra ...etc .

Ramallah was attached to the Hashemite Kingdom of Jordan as a consequence of 1948, Nakba just like the other cities of the west Bank. But the Jordanian Government did not work on flourishing and developing the cities of the West Bank but it exceeded this and preferred the East Bank rather than the West Bank . But the revenues of Ramallah expatriates economically compensated Ramallah . So the large urban development and the growing and increasing commercial businesses existed and benefited Ramallah citizens and others .

The deported people integrated with other cities of Ramallah; and this granted Ramallah a feature that it had not known before. All the people worked in order to raise up Ramallah level forgetting the familial and religious differences , and this was apparent in the kinship among all without discrimination .

Immigration of Ramallah citizens to U.S.A. was an assisting factor in integrating the deported people into the city, as they benefited from the population imbalance occurred in it as well as the availability of many job opportunities which were provided by the immigrants in Ramallah environment which greatly depended on agriculture and livestock breeding. So the deported people entered these agriculture fields and predominated them for the future , and such field became their position either in way of purchase or inheritance resulted from kinship . The deported people also predominated a part of these fields because there are no owner directly supervising the land or the shop because a great proportion of Ramallah citizens are expatriates .

A great and tremendous development happened in Ramallah due to the integration of the deported people into the original citizens at the social and economic levels. Thus the social conventions among the citizens changed and new conventions and traditions not known before in Ramallah were introduced such as accepting commingling, walking of boy and girl together, centralization around the nuclear family and the getting away from the family. Then the political party replace the family and the personal interest predominated the public interest . The language was changed from the rural traditional language to the urban language as influenced by the language of coastal cities . The clothing style was also changed , instead of the long dress , the cloak , pants for the woman and tarbbosh , pants , Dishdasha

and head-cover and sandels for men to the cap , jacket , shoes and various embroideries .

Economically, it is enough to infer that changed from agricultural environment into commercial first grade environment. It could polarize the non deported people who are internal immigrant inside it . The capital coming from the expatriates is considered the most important pillar on which Ramallah depended at first , the immigration of many of its citizens opened large horizons for the man power in the agricultural field first and then in the commercial field .

An important transformation occurred in Ramallah after the deported people had come to it. In this respect Ramallah was transformed from unreligious city to by religious city and this introduced new institutions , societies and centers with a significant existence of mosques and Islamic feasts which ere completely absent .

المقدمة

استمر الصراع العربى الصهيوني طيلة فترة الإنتداب البريطاني , إلى أن أعلنت بريطانيا الإنسحاب من فلسطين في 15/5/1948 . هذا الإعلان البريطاني توّج بإعلان ميلاد دولة "إسرائيل" , بعد ساعات من إعلان بريطانيا انسحابها , وبدأ اليهود بتفعيل خططهم للسيطرة الفعلية على فلسطين , ولا سيما على الجزء الأكبر منها , معارضين بذلك بنود قرار التقسيم , الذي أعطى لهم نسبة 56% من أراضي فلسطين , إلا أنهم سيطروا على حوالي 77% منها عنوة [1].

هذا العام الذي أعلنت إسرائيل فيه قيامها على حساب شعب قائم , عرف بعام النكبة , الذي أدى إلى تفتيت الوحدة الترابية لفلسطين , وإلى تبديد الخصائص المجتمعية للشعب الفلسطيني . وقد أصبحت بعد انتهاء معارك 1948 وعقد اتفاقات الهدنة , مقسمة بين الدول العربية وإسرائيل إلى ثلاثة أجزاء : الجزء الأول منها , والذي تبلغ مساحته ما يعادل 77% من مساحة فلسطين , أقيم عليها دولة إسرائيل . أما الجزء الثاني البالغ مساحته نسبة 20.7% من مساحة فلسطين , ضم إلى المملكة الأردنية الهاشمية في مؤتمر أريحا , عام 1948, وشكل معها المملكة الأردنية الهاشمية . في حين , ألحق الجزء الثالث من فلسطين (قطاع غزة) , إلى الحكم المصري , والبالغ مساحته 2.3 %نسبة .

وعلى أثر ذلك , فقد تحول أكثرمن 750 ألف فلسطيني إلى شعب مشرّد[2] , توجهت كل مجموعة , حسب أقرب نقطة آمنة , فمنهم من توجّه إلى الدول العربية القريبة من منطقة لجوئه , والآخر من توجّه إلى غزة , بينما توجّه قسم كبير منهم إلى الضفة الغربية . وكان نصيب رام الله , أكبر قسم من المهجرين الذين وطؤوا مدن الضفة الغربية , وقد قدر عددهم في بداية الأمر بحوالي 20 ألف مهجر[3] . وذلك لكون رام الله امتداداً لشرق وسط فلسطين , ووجود مناطق مشتركة حدودياً بين مناطق التهجير , كاللد , والرملة , و رام الله . إذ لا تبدو غريبة على المهجّرين إليها .

فمن البديهي أن يلجأ المهجرون من مناطقهم , إلى المناطق الأكثر قرباً وألفة , مع وجود روابط اجتماعية من مصاهرة وقرابة , قادت الكثير منهم إلى تلك المناطق.

وللتغلب على ظاهرة اللجوء هذه , ساعد معظم سكان رام الله المهجرين , فسهلوا لهم السكن في المنازل , والمدارس , والحانات, والمعاهد , والمقاهي . وشاركوهم العمل والتجارة , ودلوهم على الأسواق , والأراضي الزراعية . وامتصت الأسواق بعض الأيدي العاملة منهم .

وفي غضون أشهر قليلة , غادر آلاف المهجّرين رام الله , متجهين إلى مخيم عقبة جبر في أريحا , ومن ثم إلى الأردن , بعد النداءات التي وجهها لهم الجيش الأردني . الأمر الذي خلف في رام الله حوالي 9 آلاف مهجّر, استقروا فيها , مما زاد عدد سكان رام الله من 5 آلاف نسمة , إلى حوالي 14 ألف نسمة .[4]

فعلى الرغم من أن هؤلاء المهجرين الذين قدموا إلى رام الله خاليي الوفاض , لم يحملوا معهم من ممتلكات الا الشيء اليسير, إلا أنهم أصبحوا من أصحاب الأراضي والممتلكات والعقارات فيها . أصبح بمقدور المهجّر والمقيم العمل معا , من أجل التغلب على الواقع الجديد , والنهوض بالوضع الإقتصادي , الأمر الذي سرع في اندماج المهجّرين داخل البلد المضيف . وهذا ما أثبتته سجلات المحكمة الشرعية من سجلات زواج , وحجج أرث . وما وجد أيضا في سجلات الزواج في كنيسة دير اللاتين والروم

الارثذوكس . وسجلات بلدية رام الله , التي أظهرت أسماء المحال التجارية التي استأجرها المهجرون , والتي ما تزال ماثلة حتى اليوم .

هذا الأمر, دفع الباحث الوقوف طويلا عند هذه الظاهرة , والأستفسار عن تراكم رأس المال بأيدي المهجرين , وامتلاكهم العقارات , والأراضي في غضون عشر سنوات من تاريخ تهجيرهم .

هذه الدراسة , جاءت لتلقي الضوء على جانب مهم من المعاناة الفلسطينية للمهجرين وكفاحهم , ومحاولتهم التغلب على التفتت الإجتماعي والإقتصادي والسياسي الذي حصل لهم بعد النكبة من جهة , وكيفية نجاحهم في توظيف مهنهم القادمة معهم من أماكن التهجير , وسعيهم للعمل في مكان تهجيرهم من جهة أخرى , مستفيدين من الخلخلة السكانية التي وجدت في مجتمع رام الله , إثر هجرة أبنائها سابقا إلى الأمريكيتين , الأمر الذي فتح آفاقا للعمل للمهجرين وبسهولة .

ولتفسير هذه الإشكالية ، تفترض الدراسة أن عملية اندماج المهجرين في مجتمع رام الله , في وقت شهدت فيه رام الله- هجرة واسعة من قبل أكثر سكانها إلى الأمريكيتين , انبثق عنها خلخلة سكانية وثقافية , أدت إلى دخول المهجّرين في هذا الوضع الإجتماعي الجديد محاولين الإندماج فيه , سواء أكان

ذلك بالمصاهرة , أم بغرض وجودهم كأيدي عاملة في الأراضي , أو تجـار فـي المحال التجارية , وذلك بتوظيف المهن القادمة معهم .

السنوات الإثنتا عشرة التالية للنكبة , من عام 1948-1960 , مثلت أهم مفصل تاريخي فـي التحـولات السياسـية والإجتماعيـة والإقتصـادية . فسياسـيا : انتقلت رام الله من الحكم البريطاني الى الحكم الأردني رسـميا عـام 1950[5] . واجتماعيا : وجد في رام الله تركيبة اجتماعية جديدة لم تألفها من قبل , مع بروز بعض العادات الإجتماعية الجديدة , واختفاء عـادات وتقاليـد سـابقة , مـع تغييـر في نمط الحياة والسكن . أما اقتصاديا : فلم تعـد رام اللهـ بلـدا زراعيـا بالدرجـة الأولى , كما أشارت اليه الوثائق العثمانية , وبالذات إبان الحكـم العثمـاني , أنهـا كانت تدفع الضرائب إلى الملتزمين عن الزراعة الشتوية والصيفية كل عـام . بـل غدت رام الله بلدا تجاريا بالدرجة الأولى , وهذا ما بينته السجلات فـي بلديـة رام الله.

اندمج المهجرون اندماجا تاما في رام الله , بحيث لا يمكن للمراقب اليوم أن يفرق بين السكان أنفسهم , هذا مقيم وهذا مهجّـر , إلا باللافتـة الموجـودة على المحل التجاري , أو العمارة . بالإضافة إلى تحويل رام الله من بلد مسيحي ذات أغلبية مسيحية , إلى بلد اختلطت فيـه الـديانتان المسـيحية والإسـلامية , مـع بروز عادات وتقاليد جديدة .

دراسيًا , احتاج الموضوع الذي نبحث فيه إلى أكثر من منهـج لتوضـيح الدراسة , فقد اعتمد البحث المنهـج التحليلـي, حيث تناول البـاحث الموضـوع بالتحليل المتعمق للتطورات التاريخية التي شهدتها رام الله عام 1948 ــ 1960 , والرجوع إلى خلفيات تاريخية قبل عام 1948 , بغرض توضـيح حجـم التحـولات التي طرأت بعد التهجير . بالإضافة إلى استخدام المنهج الإحصائي , المتمثل فـي إظهار وتحليل البيانات الإحصائية لأعداد السكان فـي رام اللّه ، علـى مـدار قـرن من الزمان تقريبا , لإيضاح التطـور الـذي أصـاب رام اللّه بعـد كـل فـترة زمنيـة . والمقارنة بين الأحوال الإجتماعية والإقتصادية , قبـل النكبـة وبعـدها . بالإضـافة إلى المنهج الوصفي لعرض الأوضاع الإقتصادية والمعيشية للسكان في رام الله قبل النكبة وبعدها .

تكمن أهمية هذه الدراسة , في تشكيلها مفصلاً هامًا في تاريخ الشعب الفلسطيني , وقلة الدراسات السابقة الـتي تنـاولت الموضـوع مباشـرة , وتغييب الجانب الأرشيفي وعـدم توظيـف التاريـخ الشـفوي فيهـا . ولهـذا تنـاول الباحث دراسته من زاوية مختلفة عن تلك الدراسات السابقة , وبشكل تخصصي أكثر مسـتفيدًا مـن هـذه الدراسـات وثائقيـًا , وبـالرجوع إلـى سـجلات المحكمـة الشرعية في رام الله والوثائق العثمانية في أبو ديس , وسجلات بلديـة رام اللّه والكنـائس , وأوراق الغرفـة التجاريـة والماليـة . هـذا بالإضـافة إلـى التاريـخ الشفوي عبر جمع روايات تاريخية تتعلق بفترة تاريخ الدراسة .

تناولت سجلات المحكمة الشرعية في رام الله- بأنواعها : سجلات الطلاق , وسجلات الزواج , وسجلات حجج الإرث , وسجل إشهار الإسلام , وسجلات الكنائس , وسجلات بلدية رام الله , الوثائق العثمانية في أبو ديس , الحديث عن فترة الدراسة , والتي أتاحت وفرة من التفصيلات عن الحياة الإجتماعية والإقتصادية والسياسية , لمدينة رام الله- , وذلك بتنوع المعلومات التي سجلتها , متمثلة في مهن المهجرين , وأسماء العائلات القادمة إلى رام الله , وعلاقة النسب بين المهجرين والمقيمين , بالإضافة إلى إظهارها الأعداد من المطلقات في رام الله , ليدل ذلك على وجود أعداد هائلة من أهالي رام الله في المهجر

تتصف سجلات محكمة رام الله الشرعية , بتدوين التفاصيل الدقيقة حسب شهادة الميلاد للمتزوج , والتي تبيّن العائلة , والطائفة , والمهنة , ومكان الولادة , ومكان السكن الحالي والسابق . أما سجلات الطلاق فتدون , هي الأخرى أدق التفاصيل عن الشخصيات , من حيث المطلق الزوج أم الزوجة , ومكان وجود الزوج عند الطلاق , وسبب الطلاق , وعنوان المطلق سواء أكان الزوج أم الزوجة . ومن خلال السجلات هذه , ظهرت المهن الجديدة الوافدة إلى رام الله , عند الاستفسار بسؤال في قسيمة الزواج عن مهنة الزوج . وبينت السجلات أيضا أسماء العائلات , عند كتابة اسم العائلة في قسيمة الزواج . هذا بالإضافة إلى البلد التي قدم منها المهجّر , عند السؤال في قسيمة الزواج عن بلد الزوج أو

الزوجة . في حين ، تظهر سجلات الطلاق اسم المطلق , وبلده , ومكان وجوده , ومن المطلق , الزوج أم الزوجه . ليدل على الخلخلة الثقافية الحاصلة , حيث لم يكن في العرف أن تقوم الزوجة بطلاق زوجها , في حين وجدت هذه الثقافة في مجتمع رام الله , بل وكانت مقبولة أيضا , وذلك من خلال تفحص سجلات الطلاق في محكمة رام الله الشرعية .

أما سجلات حجج الإرث , فتوضح المعلومات عن الأراضي , والمالك , ومكان سكنه , والأصل الذي يرجع إليه (مكان السكن الأصلي) , وأسماء الأشخاص الذين ورثوه , وهناك الكثير من أسماء المهجرين الذين ظهرت أسماؤهم في السجلات كمالكين , وذلك من خلال النظر الى الحجة المكتوبة التي تبين المكان الذي جاء منه المتوفى .

فالسجلات والوثائق هذه , تدعم الدراسة من الناحيتين : الإقتصادية والإجتماعية , إذ تشير إلى أصحاب وأسماء المحال التجارية , والأهم , المهن الجديدة التي دخلت رام الله بعد عام 1948 , أضف إلى ذلك الإحصائيات لعدد المحال التجارية , بحيث أنها سهلت على الباحث دراسة التطور الاقتصادي للمدينة , وذلك من خلال الأنواع المتعددة للمحال التجارية , فبدلا من محلات البقالة وتصليح الأحذية , وجدت محال تجارية باسم منجد سيارات , ومصلح أجسام سيارات , ومصلح أدوات كهربائية , ومقاهي , ومطاعم.

إن أهم ما يميز المعلومات الموجودة في الأرشيفات أو السجلات , أنها ليست تثبت حقوقًا للمواطنين فحسب , بل تضمنت معارف تاريخية , تخدم تاريخ رام الله , وذلك كما أشارت الوثائق العثمانية , أن رام الله مثلا كانت قرية تدفع الضريبة إلى خزينة الدولة العثمانية , وأن أراضيها كانت موقوفة للحرم الإبراهيمي في الخليل في حين , أشار سجل الزواج رقم 10 في محكمة رام الله الشرعية إلى الأعداد الهائلة من المهجرّين الذين سكنوا رام الله , مع أسماء مهنهم والعائلات الجديدة التي اندمجت في رام الله لاحقًا , وأصبحت جزءًا من عائلات المدينة .

اعتبرت هذه المعلومات أيضا , أنها لم تكتب للاطلاع عليها من قبل الباحثين , بقدر ما تضمنت حقوق المواطنين . لذا فهي معلومات صحيحة من حيث مصداقيتها , وتميزها عن المعلومات الموجودة في الوثائق الأخرى , كوثائق الدبلوماسيين , والرحالة المعاصرين للأحداث , التي تنتج أو تميل إلى خط سياسي معين , ويمكن أيضًا أن تحيد عنه . أما كتب الرحالة فغالبًا ما يظهر فيها الرأي الشخصي .

ولابد من القول , إن سجلات المحكمة الشرعية وغيرها من المؤسسات , مثل سجلات بلدية رام الله , وسجلات مالية رام اللهـ , وسجلات الكنائس , هي نتائج مؤسسات قضائية حكومية , أو مؤسسات خاصة تعنى بالمواطن , وتحفظ حقه بين حقوق الآخرين , خوفًا من الزوال أو الاندثار . لذا فهي كتابة تلك

المؤسسات وصياغتها , فغالبًا ما يشوبها الأخطاء الإملائية أو رداءة الخـط , لأنهـا لا تتبع إلا لهوى الكاتب وجودة خطـة , الأمـر الـذي يقلـل مـن قيمـة بعـض تلـك الوثائق , ولا سيما إذا رأيتها مكومة وقد علاها الغبار.

مصادر البحث

ستستفيد هذه الدراسة من الدراسات السابقة من بحوث وكتب . فقد استندت الدراسة إلـى العديـد مـن الدراسـات والأدبيـات الـتي عـالجت الموضـوع والـــــــــــتي يمكـــــــــــن حصـــــــــــرها كلآتـــــــــــي :

1- دراسات عالجت الموضوع بالوصف والتحليل للأحداث التي تعاقبت علـى رام الله , سواء أكانت قبل نكبة عام 1948م , أم بعدها , دون التطرق إلى الإندماج الإجتماعي فيها . كدراسة عبد الجواد صالح , و خليل أبو ريا , و يوسـف قـدورة , ودراسة عزيز شاهين , وأسعد قسيس .

2- دراسات عالجت الإندماج الإجتماعي في المجتمعات , وكانت هذه الدراسـات قد ألقت الضوء على الصعوبات والتعقيـدات الـتي تـواجه المجموعـات الصـغيرة في الإندماج والتأقلم بين فئات المجتمع المضيف لها , وكان بينها , دراسـة سـليم تمـاري ونـاديـا الأنصـاري , ودراسـة محمـود ميعـاري , ودراسـة موشـيه سـاك , ومحمد الجوهر .

3- الوثـائق والسـجلات والمقـابلات الشخصـية . بمـا أن الدراسـات الأدبيـة الـتي وجدت عن رام الله – كما اتضح سابقا – من دارسيين , هم أصل مـن رام اللهـ , فقد قلل من استحداث معلومات وتوظيفها في تاريخ المدينة, دونما الرجوع إلـى الوثائق والسجلات الخاصة برام الله , وشخصيات عايشت الفترة الزمنية للأحداث الخاصة بفترة الدراسة .

سيتم تناول الدراسة هذه في ثلاثة فصول :

الفصـل الأول : سيتناول تاريـخ مدينـة رام اللهـ , كخلفية تاريخية , واجتماعية , واقتصادية , والموقع , وعدد السكان قبل النكبـة , والهجـرات الـتي حصلت في رام الله قبل النكبة منها وإليها , وسرعة انـدماج المهـاجرين فـي رام الله قبل النكبة .

الفصل الثاني : سيتناول هذا الفصل , الهجرة والإندماج – نمـاذج تطبيقيـة - وذلك بالتعريف للهجـرة , وأنـواع الهجـرات , والإشـارة إلـى النكبـة الفلسطينية , والتغيير الديموغرافي الذي حصل على إثرها في رام الله . وكـذلك التعريف باللاجيء , وحالات الجوء . ونختم بـالتعريف بالانـدماج الاجتمـاعي مـع نماذج تطبيقية , وواقع الحياة المعيشية للمهجرين في رام الله.

الفصل الثالث : سيتناول هذا الفصل مسألة الاندماج الاجتماعي في رام الله , والتحولات الإجتماعية والإقتصادية , التي حصلت بفضـل هجـرة أبنـاء رام

الله إلى العالم الجديد , وما لحق بذلك من عائدات المغتربين الـتي أثـرت فـي بناء اقتصاد رام الله لاحقا .

الهوامش

1- الموسوعة الفلسطينية – القسم الثاني – الدراسات الخاصة , المجلد الخامس , ط 1 .(بيروت , 1990) . ص 144

2- نفسه . ص 309 .

3- يزيد الصايغ . الكفاح المسلح والبحث عن الدولة – الحركة الوطنية الفلسطينية (1949-1993م) . ط 1 , (بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية , 2002) . ص 90 .

4- عارف العارف . النكبة 1947-1952 . (صيدا : المكتبة العربية للطباعة والنشر , 1956) . ص 416 .

5- محمد نمر الخطيب . أحداث النكبة – نكبة فلسطين . ط 2 , (بيروت : دار الحياة , 1967) . ص 36 .

1

2 3- يزيد الصايغ . الكفاح المسلح والبحث عن الدولة – الحركة الوطنية الفلسطينية (1949-1993م) . ط 1 ,(بيروت الدراسات الفلسطينية , 2002). ص 90 .

3 - عارف العارف . النكبة 1947-1952 . (صيد : المكتبة العربية للطباعة والنشر . 1956) . ص 416 .

4 5- محمد نمر الخطيب . أحداث النكبة – نكبة فلسطين . ط 2 , (بيروت : دار الحياة , 1967) . ص 36 .

5 الموسوعة الفلسطسنية -القسم الثاني . ص 3106 -

الفصل الأول

واقع رام الله قبل النكبة .

1- المقدمة.

2- الموقع والسكان .

3- رام الله تحت الإنتداب البريطاني .

4- هجرة أهالي رام الله الى الخارج قبل عام 1948م .

5- الحالة الإقتصادية والإجتماعية في رام الله حتى عام 1948م .

7- الخاتمة .

8- هوامش الفصل الأول .

رام الله قبل نكبة عام 1948م

المقدمة

الدارس لتاريخ رام الله , يتحتم عليه البحث المتعمق في الوثائق العثمانية الموجودة في مؤسسة إحياء التراث في أبو ديس , والتي تظهر أن رام الله كانت قرية زراعية , دفعت ضرائبها للدولة العثمانية[1] , بضع آلاف من القروش بشكل سنوي , عن الزراعة بنوعيها الشتوية والصيفية . وهذا ما يثبت أنها كانت قرية زراعية . وتشير تلك الوثائق أيضا , أن بعض أراضيها كانت وقفا للحرم الإبراهيمي في الخليل , وتشير الوثائق العثمانية كذلك , إلى عدد الأسر التي سكنت رام الله منذ القرن السادس عشر , وهذا ما اعتبره بعض الباحثين , بداية سكن عائلة الحدادين رام الله ، وليس بداية ظهور السكان فيها[2]

شهدت رام الله الكثير من موجات الهجرة إليها , من مختلف المناطق المجاورة لها , وعلى الصعيد نفسه , هاجر منها العديد من الأشخاص إلى أمريكا وأوروبا , مع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . مما نوّع في التركيبة السكانية , التي كانت من أب وأم , أولاد راشد الحدادين , الذي هاجر إلى رام الله في القرن السادس عشر , واستقر فيها .

تذبذب عدد السكان في رام الله منذ بداية عهدها , بسبب الهجرات منها وإليها , ووقوعها تحت الإنتداب البريطاني , الذي بدوره شجع السكان على الهجرة , فلم يتجاوز سكانها حتى النكبة عام 1948 ألـ 5000 نسمه , غالبيتهم من المسيحيين . لهذا , عند الحديث عن رام الله في هذه الدراسة , أهي قرية أم مدينة ؟ . فالحديث عنها كقرية , ظل متعارفا عليه , حتى تم تحويلها من قبل العثمانيين إلى قصبة عام 1908 م , وبداية تأسيس البلدية . وبدخول القوات البريطانية رام الله عام 1917م . ووقوعها تحت الحكم البريطاني , حولت إلى مدينه بشكل رسمي عام 1923م . وبانتهاء معارك عام 1948 م , رحل لإنتداب البريطاني عن فلسطين , فألحقت رام الله بالمملكة الأردنية الهاشمية حتى عام 1967 م .

الموقع والسكان

تقع رام الله على عدة تلال ، وضمن نطاق سلسلة جبال بلاد الشام ، والسلسلة الجبلية الوسطى في فلسطين . وهي إلى الشمال من مدينة القدس بحوالي 13 كم ، وبارتفاع حوالي 872 مترا عن سطح البحر ، وُيعتبر جوها معتدلا نسبيا[3]. لذا , فهي تتوسط فلسطين ، إذ تبعد عن الحدود الشمالية لفلسطين حوالي 330 كم ، وتبعد عن أم الرشراش حوالي 360 كم في أقصى الجنوب ، وتبعد عن يافا غربا حوالي 67 كم، وحوالي 65 كم عن البحر الميت في الشرق منها[4] .

لذا فتعد من مدن الإصطياف في فلسطين ، بدليل وجود بعض البيوت , التي تعود ملكيتها إلى جنسيات مختلفة من العالم العربي، مثل الكويتين والسعوديين ، التي سجلت تحت مسمى أملاك الغائبين ، بعد وقوع الضفة الغربية تحت الإحتلال الإسرائيلي ، والتي ما زالت ماثلة حتى اليوم وتقع رام الله أيضا على خط طول 168 غربا , و171 شرقا , وعلى خط عرض 142 جنوبا و147 شمالا[5] .

تحيط برام الله مجموعة كبيرة من المدن , والقرى الهامة . أقربها مدينة البيرة من الشرق ، وبيتونيا من الغرب ، وضواحي مدينة القدس من الجنوب ، ومن الشمال بيرزيت والقرى القريبة منها مثل، سردا وأبوقش . ولا تكاد اليوم أن تحدد الخط الفاصل بين رام الله وما يحيط بها من مدن أو قرى , نظرا للتشابك في البناء بينهما[6] . وأن هذا التشابك يجعل مدينة رام الله وما حولها , أن تتحد في الكثير من الأشياء ، ولا سيما بين رام الله والبيرة , وأن المرء لا يمكن أن يفرق بينهما ، حيث تتحد الشوارع ، ويظن عابر الطريق , أن الجانب الأيسر منه لرام الله ، والأيمن للبيرة أو العكس[7]

تطورت مدينة رام الله بعد زحفها إلى الشرق ، والتحامها مع مدينة البيرة ، وكوّنت منظرا عاما لمدينة واحدة ، وهذا التطور بدأ يظهر بعد عام 1948م ، في ظاهرة التمدن التي وصفت سكان رام الله ، بعد أن قلصت المساحات الزراعية فيها ، وبدأت بالتراجع ، إذ تتركز معظم المزروعات في الجهة الشمالية

منها حيث تزرع بالزيتون ، أما الأراضي المخصصة لزراعة المحاصيل فهي قليلة نسبيا ، وذلك بسبب طبيعتها الجبلية .

الناظر الى رام الله عن بعد , يراها كأنها كومة من الحجارة ، والذي يزيدها جمالا ، أن الناظر اليها من الغرب , يراها كأنها تلة ، بينما تعسر على الناظر اليها من الشرق , أو الجنوب رؤيتها إلا عندما يدخلها . وهذا ما أعطاها نوعا من التحصين . فقد وصفها الياهو غرانت بقوله : "أن القادم إلى رام الله من الغرب يراها وكأنها قمة جبل ، وأما القادم اليها من الشرق أو الجنوب ، فلا يراها إلا عندما يقترب منها ، وهذا الموقع أعطاها نوعا من التحصين الطبيعي"[8]

أما من حيث السكان , فتشير بعض الدراسات , أن رام الله كانت مأهولة بالسكان منذ القرن الثاني عشر , حيث ذكر نسيب شاهين اتفاقية مؤرخة عام 1186م , بين المستشفى الألماني الذي أسسه الفرنجة في القدس مع ملك القدس ، أثناء فترة حكمه من عام 1186-1190م ، وتقول الإتفاقية : "إن على الملك دفع مبلغ من المال إلى المشفى الألماني كدَيْن عليه في مدة لا تزيد عن سنة ، وإلا تصبح قرية رام الله ملكا للمشفى"[9]

وتشير بعض الدراسات أيضا ، أن السلطان المملوكي خليل بن قلاوون 1291م ، قام بوقف عشر إنتاج رام الله من المزروعات والثمار , إلى الحرم الإبراهيمي في الخليل ، ويُستنتج أن هناك علاقة وثيقة ما بين رام الله وإبراهيم الخليل , الذي ُوجد له مقاما فيها[10] ، وذكرت بلدية رام الله في دراسة

أفادت فيها أن الرحالة إدوارد روبنسون ، الذي زار رام الله عام 1838م ، وقّدر عدد سكانها أنذاك بين 800-900 نسمة[11] , وأشار إنها تدفع سنويا حوالي 350 مُدا من القمح كضريبة إلى الحرم الإبراهيمي[12] ، وأن هذا يتفق مع بعض ما أورده بعض الباحثين أيضا ، مثل عزيز شاهين , الذي أشار إن رام الله كانت تدفع للحكومة العثمانية الضرائب ، وقد نُقل عما أوردته الوثائق العثمانية في أبو ديس إلى وجود 80 عائلة قد سكنت رام الله ، ودفعت هذه الضرائب.[13]

وعلى العكس ما أورده أسعد قسيس ، أن رام الله بقيت خالية من السكان، إلى أن سكنها راشد الحدادين وعائلته ، الذين وفدوا من الشوبك , والكرك في القرن السادس عشر، وقد اتخذت رام الله ملاذا لها ، بسبب العراك الذي كان قائما بينه وبين إخوته . فنزل الحدادين إلى أريحا , ثم تحول إلى بيت جالا , فرام الله . وكانت رام الله آنذاك خربة مكتظة بالأحراش والينابيع , مثل عين البلد , وعين البرج , وعين مصباح . فوجد الحدادين رام الله مُناخا ملائما , لا يختلف كثيرا عن مناخ الأردن[14]. إلا أن المعلومات التي أوردتها دراسات أخرى , تنفي ما ذكره أسعد قسيس سابقا , وتؤكد أن رام الله كانت مأهولة ، وهذا ما يوضحه عزيز شاهين في الحديث عن سكان

رام الله ، إذ يعتبر أن أصل سكانها ، من الهجرات السامية التي جاءت من اليمن ، حيث هاجرت عائلة الحدادين[15] , ممثلة براشد الحدادين وأخيه صبرة ، اللذين يعتبران أول من سكن رام الله ، بعد نزولهما أريحا.[16]

اعتُبر سكان رام الله من القرن السادس عشر حتى اليوم ، هم أبناء رجل واحد الذي انجب خمسة أولاد , ومنهم تكاثر نسل الحمائل الأخرى . فكان أولاده الأوائل هم : حداد , وإبراهيم , وجريس ، وشقير , وحسان . ومنهم مثلا , تكاثر أولاد حداد إلى خمس عائلات أخرى ، هم : "يوسف , وخليل , وعيسى , وعواد , وعزوز" . ومن نسل يوسف جاء مثلا: دار دغمان , ودارعفانة , ودارالزعرور , ودار قشوع , ودارالطوشة , ودارصرصور , ودار جابر , ودارسمعان . ومن نسل حداد جاء : دارجغب , ودارحسان , ودارالزرو , ودارالزبيدي , ودارشاهين ودارخليل العبد , ودار الحواط , ودارالشحرور . ومن دارجغب : جاء دار صلاح , ودار صالح , ودارالشلبي , ودار مصلح _وهم دار خليل الفار_ ودار القاضي , ودار رزق غانم . ومن نسل عيسى حداد ، جاء : دار الحولى , ودار الأشهب , ودارسليمان , ودارقواس , ودار الأخرس , ودار الخرسا ، ودار طوطح , ودار شطارة , ودارسابا . أما دار عواد , فكان من نسلهم : دار الصالح , ودار القبعة , ودار حديد , ودار الصفدي , ودار عيدة , ودارميخائيل , ودارقسيس , ودار شحادة , ودار حرزالله , ودار أبواليـاس , ودارعودة , ودار الأزعط , ودار قشوع[17] .

وجاء أيضا من نسل عزوز : دارغنام ، الذين اندمجوا مع دار أبو جغب , لاحقا , ودار أبو شقرة . وهناك بعض العائلات التي انقرضت مع الزمن، مثل : دارالزبيدي , ودارخليل العبد , ودارحريز وحرزالله ، وعائلة قراقع ، ودارغنام

الذين اندمجوا مع دارأبو جغب , لأنهم هوجموا من قبل البراغثة وقتلوا منهم عددا كثيرا [18] .

حافظ سكان رام الله على نسيجهم الاجتماعي، في ظل التغيرات الكثيرة التي حصلت فيها من هجرات ، فظل الزواج من بعضهم البعض ، حتى أواخر القرن التاسع عشر , الذي شهد حراكا اجتماعيا نحو رام الله من عائلات مختلفة حطت فيها ، إلا أنها كانت تدين بنفس ديانة سكان رام الله .

ومع مرور الزمن ، امتزج سكان رام الله بغيرهم من السكان الوافدين إليها , بفضل الهجرة الداخلية والخارجية من قبل بعض العائلات ، أو الأشخاص ، فقد وصل اليها من عجلون مثلا ، خليل العجلوني ، الذي نزح مع عائلته ، والتحق بداريوسف , واندمج مع سكانها اندماجا تاما . وقد تبع آل العجلوني إبراهيم الأعرج عام 1805 م ، الذي قدم من قرية دير إبان في القدس ، وقد تزوج من رام الله ، وكوّن عائلة الأعرج هناك . وقد سار على خطى الأعرج والعجلوني نزال , الذي قدم اليها من رفيديا في نابلس عام 1810 م ، والتحق بحامولة الشراقة وكان يعمل تاجرا[19] في رام الله ، وكوّن حامولة آل نزال . التحق إبراهيم الرفيدي من رفيديا أيضا بنزال , إثر شجارفي رفيديا , ومقتل أحد خصومهم ، ولجؤوا إلى رام الله ، ثم تحولوا إلى البيرة ، وسكنوا فيها . واعتبرالرفايدة أول عائلة مسيحية تسكن البيرة[20] . إلا أن امتدادهم اتجه إلى رام الله لاحقا.

قدم إلى رام الله أيضا الصفدي , أحد رجال صفد عام 1805م , الذي كان يعمل اسكافيا متنقلا . وتزوج من رام الله , وكون عائلة "حشمة" نسبة إلى زوجته . وما زال نسله في رام الله حتى اليوم , مع وجود عائلتين لنفس الشخص , الذي أنجب ولدين ونسب لكل ولد عائلة ، هما : عائلة حشمة , وعائلة الصفدي . كذلك هاجر إلى رام الله من دبين في الأردن عام 1880 م ، رجل مسيحي يدعى عودة دبيني ، وكوّن عائلة دبيني في رام الله ، وأن ابنه الياس دبيني , كان أول رئيس لبلدية رام الله عام 1908م . وقد جاء تعيينه كحل وسط بين الحمائل المتنازعة[21].

لم تتوقف الهجرات إلى رام الله ، بل وصل إليها مهاجرون أخر , مثل آل الربضي من الأردن عام 1825 , وكوّنوا حامولة الربضي ، واندمجوا بحامولة جغب لاحقا ، وقد وصل عددهم نحو 800 نسمة ، أي نصف سكان رام الله انذاك[22] .

وبفعل تتابع الهجرات ، فوصل إليها عام 1923م أول عائلة مسلمة , وهي عائلة الجاعوني , التي حبب أفرادها العمل في الوظائف الحكومية . ومع الزمن أصبحت جزءا من تركيبة رام الله الإجتماعية . إلا أن المعلومات التاريخية توحي , أن هناك الكثير من الأسماء الإسلامية , التي وجدت في الدفاتر العثمانية , التي كانت تدفع الضرائب للدولة العثمانية التي وُجدت في رام الله[23].

وهناك من يورد , أن أول مسلم قد سكن رام الله كان عام 1902م ، الذي

قدم من شمال فلسطين وعمل صباغا ، وقال أحد المعمرين عندما سُئل عن هذا الشخص ، أن هذا المسلم كان يعمل عند عائلة الشراكة حائكا[24]. وقد ذكرت بعض المصادر، أن أول من سكن رام الله من المسلمين كان عام 1923م ، والذي عمل في التعهدات لتركيب الأنابيب والتمديدات الصحية[25] .

كذلك قدم بعض المسلمين الى رام الله بعد الحرب العالمية الأولى للسكن فيها وكانوا من القدس ، ونابلس ، والخليل ، الذين عملوا في السّكفنة وخياطة القنابيز وغيرها[26]. إلا أن الوثائق والملفات العثمانية تذكر بعض الأسماء , ويبدو أنها اسلامية , عندما كانوا يتحاكمون أمام القاضي في القدس , فقد ذكرت السجلات أسماء مثل : زينب , مصطفى , محمد , عبد القادر , أبو بكر , الشيخ محمد[27] .

بناء على ما تقدم ، يمكن القول , إن هناك عائلات جديدة قد دخلت في النسيج الإجتماعي لسكان رام الله ، وأدخلت مسميات لعائلات جديدة مثل : عائلة الأعرج , ونزال , وحشمة , ودّبيني والرّبضي ، إلى جانب أسماء عائلات أهالي رام الله . إلا أن هذه العائلات الدخيلة لم تؤثر في النسيج الإجتماعي أبدا ، نظرا لانتمائها لدين واحد . وأن سكان رام اللهـ كانوا يشكلون الأغلبية العظمى، وهذا ما سهل على هذه العائلات أن تندمج وبسرعة مع العائلات السابقة ، وكوّنت مجتمعا واحدا ، مما أدى إلى تغلغل هذه العائلات أيضا في مجال الزراعة ، نظرا لوجود مساحات كثيرة من الأراضي , التي كانت بحاجة

إلى أيـد عاملـة , إذ ُقُـدّر سـكان رام اللهـ انـذاك فـي (العشـرينات) مـن القـرن العشرين حوالي 1500 نسمة[28] . وقد غلب على هذا المجتمع ، طابع التعـاون في مجـال الزراعـة , والمناسـبات الإجتماعيـة المختلفـة ، والأخطـارالتي كـانت تهاجمهم دونما تميز . فبدا أفراد هذا المجتمع الجديد كأنهم أولاد رجل واحد .

امتدت العلاقات الاجتماعية بالمصاهرة من رام الله إلى باقي الأماكن الفلسطينية ، فكان الزواج مثلا فـي رام اللهـ , غيـر مقتصـر بيـن أبنائهـا ، بـل , تعدى ذلك الى القدس ونـابلس ويافـا وحيفـا والرملـة[29] . ممـا أدى إلـى وجـود شبكة من العلاقات الإجتماعية والصداقات ، التي فتحت أمـام المهجريـن لاحقـا آفاقا للاستفادة من هـذا الوضـع ، بعـد نكبـة عـام 1948م ، والـذي كـان لهـم ارتباط مصاهرة مـع أهـالي رام اللهـ , ولا سـيما بيـن مهجّـري يافـا , والرملـة , وحيفا , واللد وغيرهـا. وأن الطائفـة الأولـى مـن المهجّريـن الفلسـطينين , قـد لجأت إلى رام الله , ولم تواجه أية عراقيل بسبب هذه المصاهرة والصداقات[30]. وهذا ما أفادته إحدى معمرات رام الله التي أوردت أيضا أن الحكومة الإنجليزيـة قد أعلنت على لسان القائد العسكري لمدينـة اللـد أنـذاك ، الـذي أشـار لبعـض المواطنين المسيحيين للهجرة الى رام الله أو غيرها ، إيـذانا منـه باحتمـال كـبير بقيام حرب بين الفلسطينيين واليهود ، وأن العواقب ستكون صعبة جدا . وتؤكـد هـذه المعمـرة القـول : " أن ثلاث عـائلات قـد سـكنت بجـوارهم قبـل

الحرب بأربعة شهور ، وأن جاراتها أخبرنها بأن احتمال قيام حرب مع اليهود قريبا . وبالفعل هذا ما حدث[31]

أما بالنسبة لعدد السكان ، فقد اختلفت الروايات في عدد سكان رام الله , لأن معظم التقديرات للسكان , كانت على التخمين للرحالة , أو على من نقل عنهم ، بسبب عدم وجود إحصاء رسمي للسكان . أما كشوفات الضرائب التي كانت تدفع للحكومة العثمانية , فكان فيها نظر ، بسبب عدم تسجيل جميع السكان في هذه الدفاتر . ويبدو أن للبعثات التبشرية دورا كبيرا في خلخلة عدد السكان بين الزيادة والنقصان ، بسبب جذب المسيحين إليها ، وخروج المسيحين أيضا منها بسبب الهجرات الخارجية . والجدول التالي يوضح عدد السكان فيها , ابتداء من القرن السادس عشر , حتى عام 1945م[32]:

شكل رقم (1) . ويظهر عدد سكان رام الله للسنوات السابقة للنكبة

يتضح من هذا الجدول ، أن مجموع سكان رام الله , قد بلغ في القرن السادس عشر حوالي 690 نسمة ، وهذا يشير أنها كانت مأهولة بالسكان قبل هذا التاريخ ، بدليل وجود أعداد كبيرة من السكان . وأن هذا العدد من السكان ، يحتاج إلى فترة من الزمن حتى يصل إلى ما وصل اليه ، وهذا ما يبرهن أن رام الله كانت مأهولة بالسكان قبل القرن السادس عشر ، وأن ما ذكره بعض

الباحثين أنها لم تكن مأهولة بالسكان فهذا فيه نظر ، لأن وقف جزء من أراضيها زمن قلاوون إلى الحرم الإبراهيمي ، يؤكد أنها كانت مأهولة بالسكان .

إلا أن اللافت للنظر , هوالانخفاض في عدد السكان عام 1922م . وهذا يعود إلى أن سكان رام الله ، قد تأثروا بأوضاع الحرب العالمية الأولى ، ووقوعها تحت الإنتداب البريطاني . في حين يعلّق إبراهيم النيروز بقوله : أنه من غير المعقول ابداً , أن تكون رام الله قد تم سكنها قبل وصول الحدادين إليها من الكرك . وهذا ما وجد في الشواهد الأثرية التي تم الكشف عنها في بقاع عديدة من رام الله . إلا أنه يجزم أن راشد الحدادين يعتبر بداية لتشكيل تاريخ رام الله ، ويشير إلى وجود حلقات مازالت مفقودة في تاريخ هذه المدينة ، والذي يحير الكثير من الدارسين ، والتي يمكن أن تفتح باباً لدراسة تاريخ رام الله لاحقا[33].

أما مساحتها ، فتشير الكثير من المصادر ، أن مساحة رام الله وحدها غير القضاء حوالي 1840 دونما ، منها 364 دونما وديان , ومناطق تضاريسية صعبة[34] .

قدّرت بلدية رام الله عام 2008م مساحتها بحوالي 19000 دونما[35] ، وأنها تعمل دائما لإدخال بعض الدونمات داخل مخطط البلدية ، نظرا لنمو وزيادة

عدد السكان فيها . وأن المساحة قُدّرت بين الأعوام (1931-1940) , بحوالي 1019 دونما مع جميع الأرضي الزراعية المحاذية , والقريبة منها .

وبالرغم من أن سكان رام الله كان جدهم واحد ، إلا أنهم انقسموا إلى قيس ويمن . ويبدو أن هذا التصنيف بين القبائل كان موجودا منذ زمن بعيد ، تعود جذوره الى الهجرات السامية[36] , التي حدثت على خريطة العالم ، حيث هاجرت القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية بفعل عوامل الجذب والطرد والجفاف , الذي حل بأماكن سكنهم . فخرجت القبائل في هجرات وعلى دفعات , وامتزجت , وتفاعلت مع الحضارات المضيفة لها في منطقة الهلال الخصيب . فقد تمركزت القبائل اليمنية في وسط وجنوب الشام وبواديها، وأعطوا ولائهم الكامل للملوك هناك قبل الفتح الاسلامي . وكونهم مجاورين للروم فقد اتصفوا بالتحضّر. وتعود جذورهم إلى العرب القحطانيين الذين ينحدرون من جدهم قحطان[37] .

أما عرب الشمال فهم ينحدرون من أصل العدنانيين ، الذين هاجروا من الجزيرة العربية , وكانوا من بدو الحجاز ، وتمركزوا شمال الشام ومناطق الثغور في الجزيرة الفراتية[38] . فقد تمركز كل عربي حول العائلة التي انضم اليها وأعطاها ولاءه التام ، فقد وجد التنافس الشديد بين العشائر هذه , بهدف السيطرة على المناطق وإدارة السلطة فيها . مما أدى الى تناحر ونزاعات دموية وأحيانا الى حروب طاحنة[39] .

توسّعت ظاهرة قيس ويمن، إلى أن تأثرت بها جميع المناطق السكنية ، سواء المدن , أو الريف , أو تجمعات البدو. وقسمت الناس إلى حزبين متناقضين ، رغم التوافق العائلى الذي كان يسود بعض التجمعات السكنية . مما أجبر كل حزب أن يتخذ شعارا له يرفعه في كل المناسبات , كالحروب أو الزواج . فاتخذت قيس اللون الأحمر ، بينما انطوت يمن تحت شعاراللون الأبيض[40] . وكثيرا ما كان هذا اللون محركا للنزاعات بين القبيلتين ، كضرب ديك أحمر من قبل نساء البيرة مثلا على مرأى من النساء القيسيات ، رمزا للإهانة والتحقير[41] . وقد ترك هذا اثرا واضحا بين سكان رام الله ، إذ وجد أن العائلات القيسية ، قد اشترت أراضيها من البيرة وسردا والمزرعة القبلية وأبوقش . بينما اشترت القبائل اليمنية أراض من بيتونيا , ورافات , وعين قينيا ، والتي هي الأخرى دانت بهذه القسيمات . وإن مركز اليمنية كان موجودا في قرية أبوغوش القريبة من القدس[42] . ويذكر , أن حمولة الشقرة ، الذين يرجع نسبهم إلى جدهم شقير بن راشد ، قد تزوج بامرأة اخرى شقراء وأنجب آل الشقرة ، الذين كانوا شقر الوجوه ، وهذا الأمر ميزهم عن باقي عمومتهم ، أو أنهم قد انفردوا عن باقي إخوانهم ، وانتموا إلى حزب اليمن . بسبب كون أمهم كانت من بيت لحم القريبة من القدس ، فقد كان ارتباطهم بأمهم أكثر من ارتباطهم بباقي إخوانهم[43].

يؤكد أحد سكان رام الله على هذه الظاهرة ، بقوله "أن الوجود لباقي العائلات ، غير أولاد الحدادين ، هو الذي أثر على سكان رام الله للانضمام إلى هذه القبائل ، أمثال وجود الخلايلة في الحارات التحتا ، الذين كانوا في الأصل مع القبائل القيسية المنحدرة من منطقة الخليل ، وهذا ما ميزهم عن أحياء رام الله اليمنية (آل شقرة) ليكونوا خصما للقيسيين[44].

ويبدو أن تقسيم رام الله الى رام الله الفوقا ورام الله التحتا ، جاء على خلفية الصراع القيسي القيسي الذي كان متبعا في جبل الخليل , الذي قسم الجبل إلى حارات فوقا ، وحارات تحتا[45] .

في الستينات والسبعينات من القرن التاسع عشر ، وبعد التنظيمات الإدارية الجديدة في الشام ، وفي فلسطين بالذات ، فقد فقدت حزبية قيس ويمن أهميتها السياسية , لاندماج معظم القبائل في مراكز السلطة المحلية وهياكل الإدارات الجديدة . والأهم من ذلك , هو استفادة زعماء القبائل نفسها من القيسية أو اليمنية من هذه الزعامة ، وتأسيس أحزاب سياسية بأسمائهم متناسيين الترسبات الماضية ، مثل أحزاب جنبلاط ويزبك في الشام بدلا من يمن وقيس[46].

أما في فلسطين فقد وجدوا أنفسهم في خيارات محدودة ، وهي إدماجهم في الإدارات الجديدة ، أويخسروا كل شيء، إلا أنهم انخرطوا في الإدارات الجديدة ، وهذا أعطاهم فرصة جمع العطاء الضرائبي ، ومنح أبنائهم

فرصة التعليم ، وظلت تركيبة قيس ويمن فقط للمساعدة أو النجدة[47] . هذا التصنيف الذي قسم السكان , لم يُثنهم عن اتحادهم ضد الخطر الخارجي ، وهذا ما لوحظ وقت قدوم إبراهيم باشا إلى رام الله[48] ، ومحاولته تجنيد الفلاحين ، فقد وقف جميع أهالي رام الله في وجهه ، وقد قُتل منهم حوالي 500 رجل ، إلا أن خوفه من بريطانيا وفرنسا فقد رحّب بأهالي رام الله واسترضاهم حتى لا تتدخل في حمايتهم ، نظرا لكونهم مسيحيين مثل اوروبا

وهناك محاولات أخرى قد تعرض لها سكان رام الله لإخضاعهم ، مثل هجوم عبد الرحمن أبو غوش على رام الله محاولا الإستيلاء عليها عام 1844م ، إلا أن بسالة أهلها وتكاثفهم أفشلت هذه الحملة[49] ولهذا ظلت رام الله متأثرة بالأحوال الاقطاعية والعشائرية حتى عام 1902 , عندما حوّلها العثمانيون من قرية صغيرة إلى قصبة[50] (ناحية) كمركز للقرى المجاورة ، وعند قيام الحرب العالمية الأولى ، نادت الحكومة العثمانية بالتجنيد العام ، إلا أن الكثير من ابنائها رفض هذا القرار واختبأ في كرومها ، في حين حاول البعض الهجرة من رام الله والتوجه إلى أمريكا[51] .

رام الله تحت الانتداب البريطاني

دخلت القوات البريطانية رام الله عام 1917م , بعد وقوع اشتباكات بينهم وبين العثمانيين ، إلا أن البريطانيين قد تفوقوا في المعركة ، نظرا لاستخدامهم المدافع الرشاشة ضد العثمانين ، وكان نتيجة ذلك أن تراجع العثمانيون عن

رام الله , ووقوعها بقبضة البريطانين ، وبهذا أخضعت تماما إلى الحكم العسكري البريطاني[52] .

وبوقوع رام الله تحت حكم الانتداب البريطاني . عملت حكومة الانتداب على تنصيب اشخاص لإدارتها ، وبعد عام 1920م ، أصبح ما يعرف بقائم مقام رام الله الذي اعتبر حلقة وصل ما بين حكومة الانتداب والمواطنين ، فكان منهم : متري فراج , وجميل التاجي , ونعيم عبد الهادي , ونظيف الخيري . وكان أخرهم المؤرخ المشهور عارف العارف ، الذي شغل منصب قائم مقام رام الله من عام 1943م-1948م[53] .

شارك أهالي رام الله في الثورات والإحتجاجات التي حصلت عام 1936 ، وكانت رام الله كغيرها من المواقع العربية غاضبة على حكومة الإنجليز ، فهاجموا واحتلوا قسم البوليس البريطاني فيها ، وقتلوا مفتش البوليس البريطاني ، إلا أن النجدة القادمة من صرفند للقوات البريطانية , قد قتلت لا يقل عن 30 عربيا فيها ، وأن المقاتلين العرب أسقطوا طائرة بريطانية بالقرب من رام الله ، وانسحب الثوار إلى الأحراش القريبة منها[54].

بعد نكبة عام 1948م , وإعلان بريطانيا الإنسحاب من فلسطين ، عادت الإضطربات بين العرب واليهود ، وعلى أثر ذلك تكوّنت في رام الله منظمة الشباب المسلّح حتى وصل عددهم إلى 130 مسلحا ، وقد أفادت إحدى

المعمرات ، أن هذه المنظمة سهرت على أمن رام الله ، وعندما هاجم حوالي 20 يهوديا مسلحا رام الله ، فتصدى لهم الشباب المسلّح وقتلت منهم حوالي 17 مسلحا , وفرّ الباقون . وأكدت المعمرة بأنها رأت بأم عينها القتلى ، مع تقطيع القتلى إلى أشلاء ، وأن منظمة الشباب المسلح لم تكتف بالدفاع عن رام الله ، بل اشتركت في معارك ضد الإحتلال ، مثل , معركة القسطل , وباب الواد , وبيت سوريك . الى أن تكونت لجنة قومية سدت مسد الحكومة المغادرة[55] .

هجرة أهالي رام الله إلى الخارج قبل عام 1948

تعتبر الهجرة من رام الله إلى أمريكا , أسوة بباقي مدن فلسطين , وليدة القرن التاسع عشر، على اعتبار أن الهجرة والترحال والتنقل[56] ، هي صفة بشرية منذ القدم , فوُجدت منذ أن وجد الانسان على الأرض ، وستبقى طوعا مع قرار الإنسان المهاجر . إلا أن لكل هجرة دوافع وأسباب اجتماعية , واقتصادية , وسياسية , ونفسية . وترجع هذه الهجرات إلى عوامل الطرد والجذب[57] التي تحصل في المجتمعات السكانية .

فأول من افتتح الهجرة إلى الخارج هو حنا إبراهيم الصّاع ، نظرا لكونه تاجرا يبيع التحف والهدايا إلى الحجيج في القدس ، ومن خلال الحديث مع هؤلاء الحجيج عن بلادهم البعيدة ، أصبح لديه الرغبة في التّعرف على هذا العالم المجهول . وعليه فقد صاحب مجموعة من الحجاج ، وسافر إلى

استنبول , عاصمة الدولة العثمانية ، فراقت له المعيشة وفتح متجرا وظل يتاجر فيه هناك[58].

وفي عام 1894 م سمع يوسف عودة دبيني عن أمريكا , من مجموعة من (الكويكرز) الذين حضروا إلى رام الله ، وبعد مصاحبته لهم فترة من الزمن ، تمكن من السفر ونجح في سفره . فلحقه حنا حشمة ، وعيسى عيدة ، وعيسى صلاح , وعيسى حسّان عام 1901م . وبهؤلاء افتتحت الطريق إلى أمريكا . وأن عيسى صلاح هو أول من أرسل حوالة مالية من أمريكا إلى والده بمبلغ 100 جنيه ذهب ، الأمر الذي جعل الناس يفدون إلى بيت والده لتهنئته , ومشاهدة هذه الحوالة[59] .

عام 1902 سافرت مجموعة من الشبان مكونة من سبعة أشخاص إلى أمريكا , وقد استقلوا الباخرة من يافا إلى مصر ثم إلى أمريكا ، وكانت الفاجعة عندما توفي أحدهم ويدعى (بطرس طوطح) , ودفن في بلاد الغربة[60] .

عام 1914 توقفت الهجرات تماما مع بدء الحرب العالمية الأولى ، إلا أن وقوع رام الله تحت الإنتداب البريطاني , قد نشّط الهجرة من جديد ، وتغير سيرالسفرمن أمريكا إلى أوروبا , وخاصة بريطانيا للتجارة . وقد تنبّه بعض التجار لأهمية رام الله مستقبلا ، فعملوا كوسطاء تجاريين للإنجليز . الأمر الذي شجعهم على تعليم اللغة الانجليزية , وإتقان فن التجارة الخارجية , وهذا ما

ساعد على توسيع دائرة الهجرة إلى الخارج , دونما التنبه إلى خطورتها السياسية لاحقا[61] .

اقتصرت الهجرة إلى أمريكا على الرّجال دونما النساء، وبالأخص العازبين منهم[62] ، وهذا أدى إلى عدم زيادة سكان رام الله زيادة طبيعية . وجود أبناء رام الله في أمريكا بأعداد كثيرة ، وفرّ الكثير من المنازل للإيجار، وهذا ما استفاد منه المهجّرون بعد النكبة ، وكان ذلك عاملا حاسماً في استقرارهم هناك[63].

ومن خلال الدراسة ، تبين أن هناك عائلات كاملة هاجرت إلى أمريكا ، وذلك جرّاء التسهيلات التي قدمتها أمريكيا للقادمين إليها ، لدرجة , أن الناظر يجد أبناء الحامولة الواحدة , تتمركز في ولاية واحدة ، مثل، ولاية فلوريدا التي تمركزت فيها عائلة الفار ، وتكساس التي تمركز فيها دارالشقرة ، وبيرمنجهام التي تمركز فيها دارجريس ، ونيويورك التي تمركز فيها دارجغب ، واشنطن التي تمركز فيها دارعواد ، وسان فرانسيسكو التي تمركز فيها دارالشراكة , وديترويت التي تمركز فيها دارالعجلوني[64] .

هذه الهجرات كان من أهم أسبابها : الدعاية التي أطلقها الشباب المغترب من نتائج نجاح أبنائهم ، والقدرة الهائلة على جمع ثروات طائلة في زمن

قياسي ، جعل الكثير من أبناء العائلات الأخرى أن تنظر بعين الرضى على كل من يهاجر إلى أمريكا ، وذلك عندما شاهدوا الحوالات المالية بأم أعينهم[65] .

ساعدت الدعايات التي روجّها مَن في الغرب أيضا ، أن أمريكا توزع أراض زراعية مجانا، لكل من يريد الإستيطان فيها . وكان هؤلاء الناس مصدر جذب لأقاربهم ، هذا بالاضافة إلى دور المعارض الدولية التي أقيمت في أمريكا ، والتي لعبت دورا هاما في استقطاب التجار الفلسطينين . وهذا ما حصل من حضور بعض التجار لهذه المعارض عام 1876 و1893 , الذين أخذوا معهم صناعات الأراضي المقدسة , كالصدف والخشب ، ووضعوها في معارض شيكاغو وسان لويس[66] .

شجعت الحالة الاقتصادية السيئة أثناء الحكم العثماني لفلسطين كافة ، ورام الله خاصة ، الهجرة إلى أمريكا ، بسبب الضرائب الباهظة التي كانت تفرض على المزارعين ، مع استمرار الغزو الثقافي والديني ، المتمثل في افتتاح الكليات والمدارس ذات الصلة بالكنيسة[67]، الهجرة ، على العيش في ظل هذه الأوضاع ، ولم يفكر يوما في الرجوع إلى بلده , أو يقتنع بأن تلحق به زوجته ، إلا أنه عاد برفقة زوجته الثانية ، والبعض الآخر عاد بدون زوجه[68] .

لذا فقد كانت الهجرة هي قرار صعب وخطير على الفرد ، ففكر المواطن اقتراض تذكرة السفر، أو بيع ممتلكاته مقابل الهجرة[69].

الحالة الإقتصادية والإجتماعية في رام الله حتى عام 1948م :

تُعتبر فلسطين كغيرها من الدول العربية الأخرى , التي كانت راسخة تحت الحكم التركي ، إلا أن خضوعها لهذا الحكم ، كان له لون خاص، بفضل وجود المسجد الأقصى المبارك في القدس ، حيث وجود منصب شيخ الإسلام ، والمفتي في المكان القريب من رام الله ، وهناك إشارة إلى وجود ذعر لأهالي رام الله من الضرائب العثمانية الباهظة , التي كانت تُفرض على السكان , من قبل الملتزمين[70] , نظر لكون أراضيها وقفا للحرم الإبراهيمي في الخليل .

تشير الوثائق العثمانية الموجودة في مؤسسة إحياء التراث في أبو ديس , أن رام الله كان يفرض عليها دفع مبلغا مختلفا من القروش عن كل عام , حتى وصل في أواخر الحكم التركي إلى 26 ألف قرش , و32 ألف قرش , عن الزراعتين الشتوية والصيفية[71] . والجدول اللاحق يبين المبالغ التي دفعتها رام الله كضرائب للحكومة التركية .

هذا الأمر , كان له الأثر الواضح في هجرة الكثير من أبنائها إلى أمريكا لاحقا . مما أدى إلى نموها اقتصاديًا , وصحيًا , وتعليميًا . وشهدت أيضا أبان الحكم العثماني , وخصوصا في مطلع القرن التاسع عشر , عندما سمح

الحاكم الألباني إبراهيم باشا للأوروبيين , عندما وقعت مصر والشام تحت قبضته , فقد سمح لهم بممارسة دور كبير ونشط في التجارة , والحياة الثقافية , الذي أوجد العديد من المؤسسات كالكنس , والإرساليات التبشيرية , وغيرها , فقد افتتح فيها المدارس , وافتتح أيضا أول مستوصف للعلاج عام 1870م ، من قبَل راهبات ماريوسف ، وكان افتتاح أول عيادة صحية عام 1883م , عندما قدمت جماعة (الكويكرز , الفرندز) إلى رام الله ، والتي عالجت الناس مجانا[72] .

والأمر الأخطرمن ذلك ، هو الأمر العسكري الخاص بالتجنيد الإجباري ، وصدور قرار من الحكومة التركية , بترحيل أهالي رام الله عن بلدهم ، قبل الحرب العالمية الأولى بقليل ، وذلك كتكتيك حربي ، كانت الحكومة التركية تستخدمه في حالة وقوع حرب مع دولة أخرى ، وللتقليل من حجم الضحايا بين السكان المدنيين . إلا أن هذا الأمر أثار القلق والخوف في نفوس أبنائها ، وتشعبت بهم الأفكار، إلى من سسيتجهون ؟ . وإلى أين سيذهبون؟ . حتى توسط مدير رام الله الإداري إنذاك , بين الألمان والأتراك , ليمهلوا الناس شهرا للرّحيل ، وذلك لتأمين أنفسهم في مناطق شتى . إلا أنه وبعد أيام قليلة , دخل الإنجليز رام الله وبقي الأهالي فيها[73].

أما ما كانت تدفعه رام الله من ضرائب , فعند مراجعة سجلات المحكمة الشرعية الموجودة في مؤسسة إحياء التراث في أبو ديس , تبين أن رام الله كانت تدفع للملتزمين ضرائب سنوية , على الزراعة الشتوية والصيفية . وأن ماكانت تدفعه من ضرائب على الزراعة الصيفية , يفوق المبلغ من القروش أضعافا مضاعفة عنها للزراعة الشتوية . فعلى سبيل المثال , وجدت المبالغ في سجلات المحكمة الشرعية في أبو ديس[74] كما في الجدول الآتي

شكل رقم (2) . ويظهر المبالغ التي كانت تدفعها قرية رام الله بالقروش كضرائب , لخزينة الدولة العثمانية .

الاعوام بالهجري	المبلغ عن الزراعة الشتوية	المبلغ عن الزراعة الصيفية	المجموع بالقرش
1283	**336**	**336**	**672** [75]
1285	**2000**	**5930**	**7930**
1286	**2500**	**6000**	**8500**
1316	**4856**	**26443**	**31299** [76]
1319	**4375**	**30712**	**35087** [77]
1326	**6325**	**21875**	**28200**
1328	**8750**	**32112**	**40862** [78]

يتضح من ذلك , أن رام الله هي بلد زراعي , إلا أن الزراعة الصيفية تفوق الزراعة الشتوية , لأن ما يدفع من ضرائب بشكل سنوي للملتزم عن الزراعة الصيفية , يفوق بكثير ما كان يدفع عن الزراعة الشتوية ولمنع انجراف التربة ، بنى أهلها السلاسل على سفوح التلال ، وهذا ما أعطاها منظرا جميلا ، وقد وصفها "الياهو غرانت" بقوله : " انها فكرة خلاقة قام بها المزارع الرملي لزيادة إنتاج أرضه ، وأن معظم أراضيها كانت مسلسلة[79] ، وقد أعطى المزارع الرّملي أرضه الإهتمام الأول ، لأنها مصدر التجارة والصناعات البسيطة ، إلا أنه وبعد تكاثر عدد السكان لاحقا ، فقد ضم أهالي رام الله مساحات أخرى إليهم من المساحات الزراعية وذلك من القرى القريبة كسردة وأبو قش وبيتونيا ورافات[80].

وعليه فقد عمل سكان رام لله في الزراعة , والصناعة البسيطة , والتجارة المحدودة ، مثل، صناعة (السّكفنة) الأحذية والحياكة ، وصناعة النبيذ , واستخراج الزيت من الزيتون . أما الزراعة , فكانت مقتصرة على زراعة القمح , والشعير , والخضراوات , والتين , والعنب والزيتون , والبرقوق , والسفرجل[81].

ومما يؤكد ذلك ، قول إدوارد روبنسن ، عندما زار رام الله عام 1904م ، وقال"إن مظهر رام الله يدل على الرفاه ، وأن بيوتها حديثة ، وحقولها خصبة وممتدة[82] . عمل قسم من أهالي رام الله قديما في بيع المحصولات الزراعية (كتجار) , مثل بيع زيت الزيتون , والقطين إلى الأديرة[83]

في القدس ، وكانت نوعية المزروعات وجودتها , تحتم على التجار أن يأتوا بأنفسهم إلى رام الله ، ويقوموا بشراء المنتوجات ، مثل القطين المرصوع ، والزبيب ، والزيت . وأن هناك محطات خاصة للتجار في رام الله ، ويدفعون للمزارع مقدما قبل جني المحصول ، مما شجع الكثير من المزارعين ، أن يتنافسوا على جودة المنتوج من التين والعنب ، وهناك الكثير من البسطات التي كان يؤمها الكثير من زائري رام الله يوميا ، والتي نشطت كثيرا بعد حرب 1948[84].

بقيت الحالة الاقتصادية بدائية نوعا ما ، حتى بداية القرن العشرين ، إذ لم يتأثر اقتصاد رام الله بعائدات المهاجرين نظراً لقلتها . إلا أنه بعد هجرة الأعداد الكبيرة إلى أمريكا ، أصبحت الأموال تتدفق إليهم ، الأمر الذي أدى إلى تغير نمط الحياة الاقتصادية من الزراعة إلى التجارة[85]. وبانتقال معظم أهالي رام الله إلى أمريكا ، انتقل النشاط الإقتصادي معهم ، وتُركت الإرض بوراً , مما هيأ للمهجّرين العمل في زراعتها لاحقا .

وصفت رام الله بمناظرها الخلابة المزروعة بأشجار الزيتون والعنب , والتي تعد امتدادا ريفيا لباقي القرى المحيطة بها ، بحيث وصف أحد الأدباء فتياتها في نهاية الخمسينات , وهن ذاهبات إلى الكروم (كروم التين والعنب), " كن كاشفات اللباس عن سيقان بيضاء وأذرع رشيقة " ، وأنها بلدة صغيرة ليست مزدحمة بالناس[86]. ووصفت دكاكينها ، أنها محدودة ، إلا أنها

تحتوي على مطاعم وفنادق ، بالرغم من قلة بيوتها[87] ، وذكر أيضًا مسميات الشوارع فيها مثل ، شارع السهل , وشارع الحسبة , والإرسال ، ووصف بعض الباعة المتجولين الذين يبيعون الترمس والبليلة[88].

وهذا ما يدعم أيضًا , قول "الياهو غرانت" الذي أحصى دكاكينها عام 1904[89] , فوجدها 40 دكانًا مختلفة .

أما المهن الأخرى كالحدادة , والنجارة ، والصيدلة , والوظائف , فقد نشطت أثناء الإنتداب البريطاني ، الذي أتاح العمل في الوظائف الحكومية , لعشرات الناس من أهالي رام الله , والعمل في تربية الخنازير , التي كانت تباع بأسعار مرتفعة[90].

كان اندماج أهالي رام الله في الوظائف الحكومية البريطانية بسرعة ، نظرًا لإتقانهم اللغة الإنجليزية المميزة , لتأثرهم بالمدارس الغربية , وارتفاع نسبة المتعلمين بين أبنائها , نظرا للهجرة وعائداتها , وقرب رام الله من القدس[91] .

كذلك عمل أهالي رام الله في تدجين الحيوانات ورعي المواشي ، وقد وجدت الأبقار والأغنام بأعداد كبيرة ، وهذا أيضا ما استفاد منه المهجرون لاحقا ، حيث يذكر أن المهجّرين قد عملوا في رعي المواشي ، وتقول إحدى المعمرات ، "أن المهجرين قد عملوا خدما في هذا الحقل مقابل

أجر زهيد ، اشتروا منه الأراضي وتزوجوا من بنات رام الله"[92] وعمل السكان أيضا في مهنة التحطيب والسقي , وفي بعض الصناعات التحويلية ، مثل طحن الحبوب[93]، وغيرها.

بعد نجاح البعض في الحصول على عائدات من المهجر , استطاع أن يستأجر الأراضي من الأوقاف , وأن يقيم عليها محلا تجاريا , والذي عرف مستقبلا بحكر الوقف , كالدكاكين , والأراضي المؤجرة , على أن يدفع ريعها إلى الأوقاف من 4 – 22 قرشا عن كل عام[94] . وهذا ما بينته سجلات الوقف في أبو ديس , حيث أوضحت الكيفية التي بدأ ت تنتقل فيه الأراضي , والعقارات إلى أيدي المواطنين في رام الله , والتي بدأت بالإيجار طويل الأمد , وقد أجرت عشرات السنوات , بل وامتدت إلى 90 سنة[95] . وعثر في سجلات الوقف على قوائم طويلة , باسم المستأجرين لهذه الأراضي لاحقا , تزامنا مع الإنتداب البريطاني , وقد أقيمت عليها الأبنية بدون أية رقابة , مما ادى إلى ضياع الكثير من ممتلكات الأوقاف في رام الله وغيرها . الأمر الذي جعل مأمور الأوقاف الإستفسار عن ضياع هذه الممتلكات والتحقيق في ذلك[96] .

فبالرغم من أن رام الله لم تحظ كثيرا باهتمام العثمانين قبل إنشاء البلدية ،إلا أنها عيّنت فصيلا من الخيالة "باش بزق[97] ، وجنود مشاة الذين كانوا يخضعون لإمرة الباشا في تحصيل الضرائب وفرض الأمن ، فقد كانت هذه

الخيالة تقوم بالتجوال بين القرى والمدن ، ومهمتها الأمن ومساعدة السكان في فض المشاكل والنزاعات بين الناس[98].

وبتحويل رام الله إلى ناحية ، فقد ساد فيها الأمن , وذلك من جراء تعيين ضابط شرطة وحاكم صلح وقاض . وتحولت رام الله أيضا إلى مصدر رزق لكثير من الناس في القرى والمدن المجاورة . وعلى أثر ذلك , فقد تكون فيها مجلس لكبار شيوخ الحمائل , وذلك كإفراز طبيعي للوضع الإجتماعي العام ، وقد كان هذا المجلس مكوناً من ثمانية أشخاص , بالإضافة إلى كاهن الرعية .

تعاون هذا المجلس مع مدير الناحية ، في إدارة شؤون البلده ، وأصدروا العديد من الأوامر لأصحاب الاعمال التجارية والبيوت ، بعدم رمي النفايات على الأرض , وعملوا على توسيع الشوارع العامة[99]. وتطور هذا الأمر إلى ان اصدرت الحكومة التركية امراً تقضي بموجبه تعين مجلس بلدي ، يعنى بأمور البلده ، ويقوم على تطورها ، وصدر قرار من الحكومة التركية بالسماح لأهالي رام الله باختيار مجلس بلدي لهم[100].

وضمن التطور الديموغرافي في فلسيطين , الذي عكس التحول الحاسم في التطور الإقتصادي في الستينات والسبعينات من القرن التاسع عشر ، فقد قسمت فلسطين إلى ثلاث مناطق إدارية كان منها : شمال فلسطين المتضمن الجليل وصيدا وعكا ، والقدس التي فرضت عليها الإدارة

العثمانية المباشرة ، والجبال الوسطى التي ظلت تخضع للزعامة المحلية . إلا أنه بعد حرب القرم عام 1860م[101] , كسرت الإدارة العثمانية شوكة الزعماء المحليين ، حتى يتسنى لها تنفيذ خطة الاصلاح والتنظيمات , التي شرعت فيها . فقد تشكل أول مجلس بلدي في رام الله- عام 1908 م ، كحالة تنظيمية وضعت الأُسس العامة لإدارة شؤون الناس ، وتنظيم العلاقات بينهم على أساس القانون العام الذي يحكم الجميع ، واعتبر هذا الأمر نقلة نوعية في حياة الناس في رام الله ، الا أن الزعماء المحليين سرعان ما أنشؤوا مراكز سياسية وإدارية في المدن , حتى يجدوا لهم موطيء قدم في هذه المجالس والبلديات والمحاكم[102] ، وعليه ، فقد عين الياس دبيني أول رئيس للبلدية ، استمر تعيينه حتى عام 1921 م . ولدعم فكرتها ، فقد خصصت الحكومة التركية مبلغا من المال ، كميزانية للبلدية , بما فيها راتب لرئيس البلدية[103] .

الا أن هناك من الدراسات قد أفادت ، أن فكرة تأسيس بلدية رام الله ، قد تولدت من خلال الإحتكاك المباشر للمهاجرين بالعالم الغربي ، وتبنيهم الكثير من الأفكار ،التي اعتبروها مناسبة لبلدهم ، كتنظيم المدن الأمريكية والأوروبية[104] .

اعتبرت النظافة أولى اهتمامات البلدية ، فقد عملت على تنظيف البلده ، من خلال دفع أصحاب المحال التجارية ضريبة لها، مقابل التنظيف حول محالهم التجارية ، ثم إنارة الشوارع بقناديل الزيت ، وتغريم كل من يطرح الزبالة

(القمامة) في الشارع ، وعملت على إنشاء سوق خاصة للحيونات ، وعينت حارسا للأشجار، ثم أصدرت قانونا بموجبه يمنع العمل يوم الأحد[105].

وإقتصاديا ، نظمت البلدية شؤون التجار، والمعاملات بين المواطنين , كالبيع , والشراء , والإيجار , وافتتاح المحال التجارية , والحد من البناء العشوائي ، ومنعت البناء ب"الزينكو" ، وعملت محرقة للنفايات ، ودفعت أجرة إلى الطبيب بدلا من الكشف على الأمراض السارية[106] .

عملت البلدية أيضا على تحديد الأسعار ، والحاجيات المتعلقة بالمواد الغذائية ، والزمت التجار بالعمل بقوانين البلدية الجديدة ، مثل إلزامهم بعمل المرافق الصحية لمحالهم التجارية[107] . وقرر المجلس البلدي كذلك ، توفير المعاش لرئيس البلدية[108]. فكان هذا له أثرا على تنظيم الحياة الإقتصادية ، وقد ورد في سجلات البلدية رام الله ما يثبت ذلك، من خلال وجود قوانين لبعض المهن , وافتتاح المحال التجارية الجديدة , وأسماء المحال التجارية أيضًا ، ومذكرات لتحصيل الضرائب والموافقة على افتتاح المحل ، أو رفضه في نماذج خاصة بذلك[109]. ولبناء اقتصاد رام الله بشكل ملموس، راسلت بلدية رام الله المهاجرين من أبنائها ، حرصا منها على التواصل معهم ، وطلبت منهم دعمها بالمال , رغبة في بناء مرافق جديدة ، كبناء مخازن وتعبيد الشوارع ، ودعم المؤسسات الخاصة والجمعيات والنوادي[110]. وقد طلبت منهم أيضا تسديد الفواتير المستحقة عليهم من الضرائب على البيوت والمحال التجارية . وأثناء

البحث في سجلات بلدية رام الله ، تم العثور على المراسلات، التي يطلب فيها المهاجر من البلدية إرسال له قيمة الضرائب عن البيت أوالفرن حتى يقوم بتسديدها[111] . وقد قدم بعضهم خدمة كبيرة للبلدية تتمثل في تنازل البعض عن أملاكهم لها ، كتنازل إلياس قندح عن كل ممتلكاته وأرضه للبلدية ، وفرح غنام ، وصليب غنايم ، وقندح وبشارة غنام ، وعزيزة يوسف موسى، وعيسى خليل شحادة[112].

وهناك جملة من النشاطات قد قامت بها البلدية لتسهيل حركة المواطنة الإقتصادية والإجتماعية فكانت حسب الآتي :

- 1908م , تعيين حارس للأراضي الزراعية والأشجار المثمرة . ولا سيما أيام نضوج الثمار صيفا , كالزيتون , والعنب , والتين , والمشمش , والخوخ , والبرقوق . نظرا لكون هذه الثمار العمود الفقري لاقتصاد رام الله . وتؤكد ندى حرز الله , أن البلدية كانت تفرض على السكان هذه الضريبة , من أجل الحفاظ على المحاصيل من السكان القريبين لبلدهم[113] ، وأن الكثير من المحاصيل كانت تتعرض للسرقة من قبل المغاربة , الذين كانوا يمرون من رام الله الى القدس أيام الحج .

– 1913 م , تعمير عين مصباح وعين مزراب , وذلك لمواجهة الجفاف . إذ شكل الجفاف عقبة كبيرة أمام السكان ، وذلك لاعتماد رام اللهـ على مياه الأمطار المتساقطة سنويا، وقلة المخزون للمياه الجوفية . حيث تعرضت رام

الله لموجة من الجفاف عام 1913م[114] . وعلى أثر ذلك , فقـد شـرّعت البلديـة قانونا , يعمل بموجبه أن على كل مـن يريـد أن يبنـي بيتـا ، يجـب أن يحفـر بئرا يجمع فيها مياه الأمطار الهاطلة ، وهذ ما فسر كـثرة الآبـار الموجـودة فـي رام الله[115] ، إذ قدر عددها بحوالي 400 بئر .

– 1914 م , نشطت البلدية في مراقبة الباعة , خوفا من التلاعب بالأسعار أيام الحرب العالمية الأولى .

– 1918 م , اصدرت قراراً بموجبه أن تعمل المحال التجارية , والبيوت مرافق صحية , خوفا من انتشار الأوبئة . وذلك بعد انتشار مرض الكوليرا عام 1902م[116] الذي قدم من مصر، وانتشار مرض التيفوس فيها .

– 1920 م , بناء دار البلدية ووضع حدود لها خوفا من البناء العشوائي .

– 1922 م , وسّعت البلدية طريق المنارة , وطريق القدس رام الله , ورام الله بيرزيت , ورام الله عين عريك .

– 1922 م , بنت البلدية منارة في مركز رام الله ، لتكون دليلا لكل من يمر بالمنطقة وكان يعلوها قنديل يعمل بالكاز .

– 1923 م , ظهر قانون البلديات إبان الإنتداب البريطاني ، وبموجبه اعتبرت رام الله مدينة بشكل رسمي ، لكونها منظمة . وتسير ضمن التنظيم المتبع في سائر المدن الفلسطينية الأخرى .

– 1926 م , تملكت البلدية أرضا وحولتها إلى مقبرة وسددت ثمنها بفرض جنيه على كل شخص .

– 1928 م , تم افتتاح شارع السهل , واصلاح شارع يافا , ليصبحا الشارعين الأجمل والأهم فيها.

– 1928 م , تم تعبيد نصف الطريق الواصل بين رام الله البيرة إلى المنارة , وتم انشاء بركة ماء مع خمسة أسود , وكل أسد يمثل ولدا من أولاد الحدادين الخمسة ، ويخرج من فيه الماء , ليدل على العطاء الدائم .[117]

– 1935 م , تم الاتفاق مع شركة كهرباء القدس , لإيصال رام الله بالتيار الكهربائي .[118]

أما أسماء رؤساء البلدية حسب التسلسل الزمني فهم:[119]

- الياس دبيني ، الذي جاء تعيينه كأول رئيس للبلدية ، , (1908-1921) كحل وسط , أثر الخلاف الذي حصل بين أبناء الحدادين على الرئاسة ، وأن دبيني هذا لم يكن من أبناء جلدتهم ، بل كان مهاجرا قد قدم من الاردن.[120]

-(1921-1922) , يوسف جريس درباس .

- (1922-1927) , , مجلس بلدي ليتجاوزمرحلة المشاحنات بين الحمائل وقد شمل إبراهيم عقل و موسى خليل وغنام سليم غنام وإبراهيم طوطح ، جريس بطرس .

- (1927-1932) , موسى خليل موسى .

- (1932-1937) , سعد الله قسيس.

- (1937-1940) , : والمجلس البلدي هم : متري الفراج[121] قائمقام فراج خليل حرب وموسى جبران وسليم زعرور وموسى خليل ويوسف قدورة وجليل بدران .

- (1940-1943) , سالم زعرور.

- (1943-1947) , يوسف جريس قدورة .

- (1947-1951) , خليل صلاح[122] .

كل فترة من هذه الفترات ، اعتبرت فيها قفزة نوعية لحياة رام الله الإقتصادية ، إلى إن نمت نمواً كبيراً ، استفادت منه المدن الأخرى . نظرا لوقوعها على طريق القدس، فالقادم من جنين ، أو نابلس ، أو طولكرم يتحتم عليه المرور برام الله ، ليشارك أهاليها في الحركة التجارية[123].

أما الحياة الإجتماعية ، فيقال إن الإنسان مدني بطبعه[124] ، فهذه المقولة تحدد مدى حاجة الإنسان إلى جنسه ، ليتواصل في النسيج الإجتماعي حتى يكون التكافل الإجتماعي المتعارف عليه . فرام الله ،لا يمكن الحديث عن العادات والتقاليد الموجودة فيها ، ونمط السلوك ، وطبيعة العلاقات الإجتماعية بمعزل عن القرى والمدن المحيطة بها ، إذ تميزت رام الله كونها قرية بسيطة بقلة عدد سكانها ، وهذا ما جعل سكانها يتجانسون اجتماعيا ، نظرا لكونهم أبناء عشيرة واحدة . فقد كان العمل مقسما بينهم كأفراد ، مثل الزراعة , والحرف , والتصنيع , والتسويق ، دونما فروق اجتماعية أخرى بين العائلات ، الأمر الذي أدى إلى تقدم بسيط في أدوات الزراعة والتصنيع , وإيجاد أسواق لتبادل السلع بين سكانها , وغيرها من المدن ، بسبب موقعها الهام فالذاهب إلى القدس كان عليه لزاما أن يطوّف في أسواق رام الله[125] .

هذا الأمر, شجع أهلها على افتتاح الأسواق ، والمحال التجارية , وخلق نوع من التبادل التجاري . ورافق ذلك تطور في العلاقات الإجتماعية والزواج من غير أبنائهم عبر الزمن ، وهناك ما يثبت علاقات زواج (مصاهرة) بين رام الله وغيرها ، خصوصا مدينة القدس ونابلس واللد والناصرة وحيفا والرملة[126] .

اتصف الحددة بالتجانس الاجتماعي تماما في بادئ الأمر ، فاتصفوا بالصدق ، والصداقة والنزاهة ، ومشاركة بعضهم البعض في الأفراح والأتراح ، ثم حبهم للتعاون لأن رابطة الدم أقوى من رابطة المصلحة ، واتصفوا أيضا

بحبهم للعمل وإتقانه[127] . وبحكم رام الله قرية زراعية ، فقد ساد على أهلها التعاون في المواسم الزراعية ، كقطف الزيتون ، والحصيدة وقطف التين والعنب بالإضافة إلى تعاونهم في الأعراس ، وعقد البيوت[128] "138" والمساهمة في نقوط العروسين[129].

ومن المظاهر الإجتماعية المعروفة عند أهالي رام الله ، وجود المضافة لنزول الغريب فيها , واحترامه , وتقديم له الغذاء والعون . أما طعامهم ، فكان من القمح , والزيت , والزبيب والتين , والعدس , والفول . أما اللحم , فكان في المناسبات المتمثلة بالأعياد والمواسم[130]. واعتبرت المساكن أيضا , مظهرا من مظاهر الحياة الاجتماعية , التي عكست المستوى الإجتماعي الجديد . حيث كانت من السكايف المبنية من الحجارة , والخشب , والحوّر . أما البيوت التي كانت للإغنياء , فكانت مكونة من علوي وسفلي[131] . وأهم ما يميز رام الله عن غيرها من التجمعات السكانية , هو وجود الأحواش فيها ، إذ عاشت كل عائلة في حوش يسمى باسمها , مثل, حوش العجلوني ، وحوش دارالشقرة[132] ، وحوش دار جغب . ومما يستفاد منه أن جميع سكان الحوش , كانوا يسهرون على راحة بعضهم البعض , ويتقايضون فيما بينهم من الأمتعة .

ومن اللافت للنظر أيضا ، أن من كانت رام الله محط أنظاره في ترحاله واستقراره فيها ، فقد اندمج فيها اندماجا تاما ، ولا تكاد أن تميز بين المهاجر

والساكن الأصلي فيها . كمن جاء في بدايات القرن العشرين , مثل: دارالربضي وداردبيني ، والرفايدة الذين مع مرور الزمن , كونوا مجتمعا واحدا [133] .

اهتم أهالي رام الله بعاداتهم هذه ، التي فرضت عليهم من واقع الحياة السياسية ، حيث لا يوجد هناك من يضمد جراح الآخر إلا أهله . وقويت العلاقات الإجتماعية بين الأسر ، ولا سيما الأسر النووية ، واعتبر الأب فيها الذي يكسب قوت عياله ، المتحكم إقتصاديا في المنزل ، فكثير من الأطفال من كان يمشي عاريا وحافي القدمين ، وكانت المرأة تمشي خلف الرجل حافية[134] القدمين ، والقليل منهن مَن ينتعلن المداس[135] , وتغطي وجهها بالشال[136] .

أما الأيسر حالا ، فكانت امرأته تلبس الثياب الجميلة التقليدية ، وكان لباسها ملونا بلونين الأسود والأحمر ، تقليدا للتراث البدوي القادم من شرق الأردن ، مع وقاية (الوقاة) في المناسبات ، والزيارات الخاصة ، وكانت تلبس الثوب الطويل , الذي يغطي جميع جسمها ، كتعبير عن التراث الديني المسيحي الشرقي[137] , الذي فرض لباس أبناء وبنات رام الله.

تشير إحدى النساء ، أن لباس المسيحيات في رام الله , يشابه لباس المسلمات اليوم ، فقد وجدت الحشمة , والوقار , والإبتعاد عن الاختلاط , أو الزيارات الفردية للبيوت[138] . أمّا الرجال ، فكان لباسهم العمامة والطربوش

الـتركي، ثـم القميـص تحـت القمبـاز، والسـروال العربـي الطويـل. مـن ناحيـة تعليمية , لم تكن في رام الله قبل عام 1846م أية مدرسة . إلى أن افتتح فيهـا عام 1846م مدرسة للذكور , وكانت مدرسة تبشيرية بالدرجة الأولـى [139]. إلا أن اختلاط المهاجرين من رام الله ببلاد أمريكا ، قد أثر كثيرا وغيّر الكـثير مـن هـذه العادات والتقاليد التي أخذت تتغير شيئا فشيئا , إلى أن انقلبت تماما . وهـذا مـا سنتحدث عنه في الفصول اللاحقة.

الخاتمة

يلاحظ مما سبق ، أن رام الله تعرضت لعدة موجات من الهجرة السابقة , التي سبقت هجرة عام 1948 ، وكأن رام الله دائما على ميعاد بالهجرات الوافدة اليها . شكلت الهجرات السابقة الى رام الله خللا في التركيبة الإجتماعية التي اعتاد السكان أن تكون من الحدادين ، إلا أن المهاجرين اليها , اندمجوا اندماجا تاما فيها ، وتجانسوا مع عائلاتها تجانسا تاما . وذلك لعدة أسباب : الاول : أن سكانها الأصليين هم مسيحيون ، وأن العائلات الوافدة إليها , كان بينهما توافق طائفي . فالديانة لعبت دورا كبيرا في الإندماج الطوعي بين العائلات ، ولا سيما انطواء عائلات وافدة تحت لواء عائلة أخرى في رام الله ، وكأن الانطواء تحت شعار الدين أقوى من العائلة . والسبب الثاني : هو الزواج الذي كان له الأثر الأكبر في توحيد العائلات ، فإبراهيم الأعرج الذي قدم من

القدس ، تزوج من رام الله فور قدومه اليها ، وكون عائلة كاملة لاحقا .

والصفدي الذي تزوج من حشمة أيضا ، وكون عائلتين لاحقا ، لهو أكبر دليلا على هذا الإندماج . ولم يمانع أو يتحفظ أي من سكان رام الله الأصليين في مثل هذا الزواج ، بل شجعوه لاحتياجهم إلى الأيدي العاملة معهم . وهذا ما يقودنا إلى السبب الثالث : وهو احتياج رام الله الى الأيدي العاملة ، نظرا لكثرة أراضيها مع قلة السكان ، وأن هناك الكثير من فرص العمل المتوفرة لأي وافد اليها.

من ناحية أخرى , اهتمام العثمانيين بها , وتحويلها من قرية الى قصبة ، وتحويل البريطانيين رام الله من قصبة إلى مدينة ، جعلها محط أنظار المهاجرين اليها , من شتى بقاع العالم العربي ، والتنظيم الذي عملته البلدية لصالح المواطنين .

هوامش الفصل الأول

1- الوثائق والملفات العثمانية المحفوظة لدى مؤسسة إحياء التراث في أبو ديس . ملف أراضي وعقارات , إجارة وتحصيل . ملف رقم 2/1ر 3/1284هـ . ص 20 , ص 33 .

2- نفسه . الوثائق والملفات العثمانية , ملف أراضي وعقارات , إجارة وتحصيل . ملف رقم 2/3ر 3/1319هـ ص 18

3- Ramallah The Bride Of Palesiine .Miltary 0f Ramallah . 2000 .p2

4- الموسوعة الفلسطينية . القسم الأول ، الجزء الأول .(بيروت , 1990) . ص 221 .

5- الموسوعة الفلسطينية . المجلد الثاني ،(ج-ش)، القسم العام . (بيروت ، 1990) . ص 29

6- ٢٢٥ -٢٣٥ , الموسوعة الفلسطينية . القسم الأول .

7- الدائرة الثقافية في مؤسسة شباب البيرة . "مدينة البيرة تاريخ عبق وحاضر مشرق" .الدائرة الثقافية في مؤسسة شباب البيرة . مجلة صوت المدينة . (2003 :4 -6) . ص 4-5 .

8- إبراهيم النيروز . رام الله – جغرافيا – تاريخ – حضارة . ط 1 . (عمان : دار الشروق ،2004) . ص 19.

9- *Naseeb Shaheen . Apictorial History Of Ramallah. Arab Institute For Resarch .1992 . p17*

10- مصطفى مراد الدباغ . بلادنا فلسطين . طبعة جديدة ، (كفر قرع : دارالهدى ، 2003). ص 235 . (مقام إبراهيم الخليل هو عبارة عن غرفة كانت تقع في وسط البلدة , كانت مكسوة بالجبس , وأرضيتها فسيفسائية , وكانت أيام المماليك للعبادة , والتقرب إلى الله و فكانت تضاء بالزيت والشمع . لمزيد من المعلومات , راجع : دليل فلسطين للمؤلفة مريم شاهين . الطبعة الأولى . بيروت : الدار العربية للعلوم . 2007 . ص 109 .

11- Ramallah The Bride Of Palesiine . 2000 .p2 .....

12- يحيى الفرحان . قصة مدينة –رام الله والبيرة ، سلسلة المدن الفلسطينية "5" , تصدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، دائرة الإعلام والثقافة في منظمة التحرير الفلسطينية ، ص 28 .

13- *Naseeb Shaheen . Apictorial History Of Ramallah. Arab Institute For Resarch .1992 . p12*

14- Assad Kasses . The People Of Ramallah .Apeople Of Christian And Arab - Heritage .1971 - . p45

أنظر أيضا الوثائق والملفات العثمانية في أبو ديس, ملف رقم 109 لعام 1033 هـ , حجة رقم 940 و 1179 , اللتين يظهر فيهما دعوى للمحكمة بتحصيل أموال , وقد ألزمت المحكمة المدعى عليه , شموئيل كحال بدفع المبلغ المطلوب, فإن دل هذا على شيء , فإنه يدل على وجود سكان في رام الله قبل عائلة الحدادين .

15- Assad Kasses .The people p45

16- عزيز شاهين . كشف النقاب عن الحدود والأنساب في مدينة رام الله .(جامعة بيرزيت : مركز الوثائق والأبحاث ، 1982) . ص 22-23 .

17- Assad Kasses .p58

18- شاهين . كشف النقاب . ص 25-50 . هذه شجرة تمثل كل الأسماء التي انحدرت منها العائلات . والمتتبع لها تتضح له صورة مجتمع رام الله سابقا ، دونما العائلات الدخيلة قبل عام 1948. إلا أن كتابه قد ضمن العديد من شجرات الأنساب التي قدمت إلى رام الله من جراء الهجرات التي سبقت عام النكبة .

19- Naseeb Shaheen . Apictorial . p22

20- النيروز . رام الله مصدر سابق . ص 197.

21- خليل أبو ريا . رام الله قديما وحديثا . 1980 . بدون مكان نشر . ص 134-135 .

22- نفسه . ص 132.

23- Naseeb Shaheen .p16 . وأنظر أيضا ملف رقم 16 لعام 951 هـ , حجة رقم 167 من الملفات العثمانية في أبو ديس, التي تظهر أسماء من طالب بحقه من خصمه كثمن القمح , وأن هناك أيضا من الأسماء التي ذكرتها الملفات بأنها أسماء إسلامية . كملف رقم 113 لعام 947 هـ , حجة رقم 2240 كدعوى محمد الجالوني على المدعى عليه حسن راشد , ومطالبته بدين عليه .

24- أبو ريا . رام الله قديما . ص 132.

25- شاهين . كشف النقاب . ص 18 .

26- أبو ريا . كشف النقاب . ص 1 .

27- انظر ملف محكمة القدس الشرعية سابق الذكر . ملف رقم 310 و 311 لعام :1228 هـ. وكذلك ملف رقم 8 لعام 1055هـ حجة رقم 144 .

28- العودات . موسوعة المدن الفلسطينية . ص 290

29- سجلات محكمة رام الله الشرعية ، انظر سجل زواج رقم 2 ، قسيمة زواج رقم 2496 و 2500 .

30- ناجح جرار . اللاجئون الفلسطينيون . ط 1 ، (القدس : الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية ، 1994) . ص 214

31- حشمة شقرة . مقابلة أجراها معها محمد مصطفى بتاريخ 19، 12، 2007 في مدينة رام الله – رام

_الله التحتا .

32- يحيى الفرحان . موسوعة المدن . ص 301 .

33- النيروز . رام الله . ص 178 .

34- الدباغ . بلادنا فلسطين . ج 8 ص 213 ، و233.

35- عيسى الصايغ . مقابلة أجراها محمد مصطفى بتاريخ 12، 12، 2007 في بلدية رام الله يعمل عيسى الصايغ في قسم الهندسة التابع لبلدية رام الله ، وقد أطلع الباحث على خرائط المساحة الكلية لمدينة رام الله ، مع خارطة لجميع التوسعات التي تتبناها البلدية كل مجموعة أعوام . انظر الخارطة المرفقة بالملاحق.

36- أحمد عزب الدسوقي . القبائل العربية في الشام منذ ظهور الاسلام إلى نهاية العصر الأموي . ط 1 ، (شبين الكروم : الهيئة المصرية العامة ، 1998) . ص 350 .

37- الكزندر شولش . تحولات جذرية في فلسطين 1856- 1922 . ط 2 ، (عمان : الجامعة الأردنية ، 1993) . ص 226 .

38- الدسوقي . القبائل العربية . ص 355 .

39- شولش . تحولات جذرية . ص 227 .

40- نفسه . ص 238 .

41- نفسه . 238 .

42- النيروز . رام الله . ص 288 .

43- أبو ريا . رام الله قديما . ص 135 .

44- حشمة شقرة . مقابلة بتاريخ 19، 12، 2007 .

45- نفسه .

46- شولش . تحولات جذرية . ص 231 .

47- نفسه . ص 271 .

48- Ramallah The Bride Of Palestine .p2

49- يوسف جريس قدورة . تاريخ مدينة رام الله . ط 1 , (نيويورك : مطبعة الهدى , 1954) . ص 6 .

50- القصبة تعني جوف القصر ، وقيل : قصبة البلاد هي مدينتها، وقصبة المدينة ، وسطها . راجع : إبن منظور . لسان العرب . ط 1 , (بيروت : دار صادر 1997) . ص 676.

51- الدباع . بلادنا فلسطين . ص 238

52- آمنة ابو حجر . موسوعة المدن الفلسطينية . ط 1 ، (عمان : دار أسامة للنشر ، 2003) . ص 376- 377 .

53- قدورة . تاريخ رام الله . ص 46 .

54- الدباغ . مصدر سابق .القسم الثاني ، ج 2 . ص 239 .

55- حشمة شقرة .مقابلة بتاريخ 19، 12، 2007 . وأنظر أيضا ما كتبه الفرحان , في موسوعة المدن الفلسطينية عن هذا الموضوع . ص 295 .

56- الموسوعة الفلسطينية . القسم الثاني – الدراسات الخاصة , ط 1 , (بيروت , 1990) . ص 299 .

57- جمال نايف عدوي . الهجرة الفلسطينية إلى أمريكا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1945. ط 1 ، (الناصرة : المطبعة الشعبية ، 1993). ص 35 .

58- امين حافظ الدجاني . المدينتان التوأم – رام الله والسرة وقضلؤهما . 199. ص 80-82

59- أبو ريا . رام الله قديما . ص 15.

60- جواد الحمد ، وعبد الفتاح الراشدان . مستقبل اللاجئين الفلسطنسن وفلسطنيي الشتات . ط 1، (عمان : مركز دراسات الشرق الأوسط ، 2002) . ص 410 .

61- شاهين . كشف النقاب . ص 19-20 .

62- رياض منصور . ""الجالية الفلسطينية في الولايات المتحدة ، دوافع الهجرة والواقع الديموغرافي" . مجلة شؤون فلسطنية ، عدد 99 ،(2003 :85-105). ص 92 .

63- فاهوم الشلبي وعودة شحادة . سلسلة تقارير إحصائية . إشراف ، شريف كناعنة ، (جامعة بيرزيت : مركز الوثائق والأبحاث) . ص 7 .

64- أبو ريا . رام الله قديما . ص 139-140 .

65- الدجاني . المدينتان التوأم . ص 92 .

66- عدنان مسلم .صفحات مطوية من تاريخ فلسطين المحلي في القرن العشرين . ط 1 ، (بيت لحم ، 2002) . ص 42

67- منصور . الجالية الفلسطينية . ص 84 .

68- علوش . المهجريون . ص 17-20 .

69- نفسه . ص 6-7 .

70- الوثائق والملفات العثمانية في ابو دس . ملف أراض وعقارات . ملف رقم 1/2ر/1281. ص 11.

71- نفس الملفات . ملف رقم 17/23ر/1328 . ص 25

72- الفرحان . موسوعة المدن الفلسطينية . ص 310

73- الفرحان . موسوعة المدن الفلسطينية . ص 294 .

74- أنظر الملفات والوثائق العثمانية في أبو دس , التي تشير إلى المبالغ التي كانت تدفعها قرية رام

الله للملتزمين , الذين يحصلون الضرائب للدولة العثمانية . هناك العديد من السجلات المدونة بخط اليد , وباللغة التركية , إلا أن الأسماء والمبالغ تدون باللغة العربية , مما يسهل عملية القراءة , والبحث فيها لهذه الأغراض .

75- أنظر ملف رقم 2/1ر3/ هـ 1284 من الملفات العثمانية. ص 33 .

76- انظر الملف رقم 2/1ر3/1286 هـ . ص 33.

77- أنظر الملف رقم 2/8ر3/1316هـ . ص 33 , وص 44 .

78- أنظر الملف رقم 2/17ر3/1328 هـ. ص 25 . وانظر كذلك , سجل رقم 2/16ر3/1326 هـ , ص 12 .

79- النيروز . رام الله . ص 234 .

80- الفرحان . موسوعة المدن الفلسطينية . ص 212 .

81- سعاد عقل . مقابلة أجراها معها محمد مصطفى بتاريخ 19 ، 12 ، 2007 في مدينة رام الله ،رام الله التحتا .

82- أبو ريا . رام الله قديما . ص 24

83- نفسه . ص 25.

84- سعاد عقل . مقابلة بتاريخ 19،12،2007 .

85 – الفرحان . موسوعة المدن الفلسطينية . ص 313 .

86- محمود شقير ." رام الله التي هناك" . مجلة الكرمل . عدد 69 ،(2001 :260-275). ص 263 .

87- زياد خداش ، ومهيب البرغوثي .رام الله الحلم رام الله المكان ، شهادات أدباء عبروا المدينة . إشراف ، نهلة قورة ، رام الله : بلدية رام الله ، 2002 . ص 23 .

88- نفسه . ص 79 .

89- أبو ريا . رام الله قديما . ص 113 .

90- نفسه . ص 112 .

91- نظمي الجعبة , وخلدون بشارة . رام الله عمارة وتاريخ . مركز المعمار الشعبي (رواق), (رام الله : مؤسسة الدراسات المقدسية) . 2002 . ص 42 .

92- مقابلة مع سعاد عقل ،بتاريخ 19 ،12 ،2007 . أنظر نظمي الجعبة , ص 42

93- النيروز . رام الله . ص 223 .

94- أنظر الملفات العثمانية . ملف أراض وعقارات , ملف رقم 2/16ر3/1925م وثيقة رقم 25 . ويظهر ذلك أيضا في ملاحق الدراسة , أسماء من تأجر بالعقارات والأراضي أثناء الحكم البريطاني لفلسطين .

95- انظر الملفات العثمانية.ملف 5259 , تحت رقم 10/30ر1/64/7

96- نفس الملفات . رقم 10/86ر1/42 . والوثائق رقم 9 ,13 , 15 , 18 .

97- باش بزق , وباش بازوق . بمعنى الرجل العسكري الذي يتمرد على الأوامر , ويفعل ما يشاء

بالمواطنين . أنظر , محمد على الأنس . قاموس اللغة العثمانية - الدراري اللامعات في منتخبات اللغات . بيروت : محكمة بداية بيروت . 1318 هـ . ص 8 . ولتأكيد ذلك . أنظر ملفات محكمة القدس الشرعية , ملف رقم 110 لعام 1036 , تحت حجة رقم 665 , والذي يظهر تبليغ عن امرأتين وجدتا مقتولتين في رام الله داخل بيتهما , وعند وصول الخبر أرسل القاضي العسكر وتبين أن السبب هو انهدام البيت عليهما .

98- شولش . تحولات جذرية . ص 275 .

99- Naseeb Shaheen . The pictorial ….. . p24 .

100- قدورة . تاريخ مدينة رام الله . ص 42 .

101- شولش . تحولات جذرية . ص 331.

102- نفسه . ص 333 .

103- الدباغ . بلادنا فلسطين . 243.

104- أبو ربا . رام الله قديما . ص 33 .

105- الفرحان . موسوعة المدن الفلسطينية . ص 291 .

106- ملفات بلدية رام الله . ملف المجلس البلدي وملف رخص المهن لعام 1955م .

107- ملفات بلدية رام الله . نفسه

108- ملفات بلدية رام الله . أرشيف الإجتماعات .

109- ملفات بلدية رام الله . ملف رقم 9/213-1/9 . وانظر الكتاب رقم 189/600 . وانظر أيضا مذكرات التحصيل رقم 178 و179 في نفس الملف .

110- ملفات بلدية رام الله . ملف رقم ب ر/1-4/1 ، جلسات المجلس البلدي ، بدون تاريخ

111- ملفات بلدية رام الله . نفسه 112-

ملفات بلدية رام الله . ملف رقم ب ر/7/32 ، استملاك الأراضي .

113- ندى حرز الله . مقابلة بتاريخ 19 ،12 ، 2007 .

114- الفرحان . موسوعة المدن الفلسطينية . ص 124 .

115- النيروز . رام الله . ص 122 .

116- شاهين . كشف النقاب . ص 60 .

117- قدورة . تاريخ مدينة رام الله . ص 11 .

118- النيروز . رام الله . ص 385 .

119-Naseeb Shsheen . The pictorial….. P24.

120- أنظر تفاصيل تعيينه كرئيس لبلدية رام الله ، بالرغم من عدم كونه من أصل سكان رام الله ، إلا أن

تعيينه رئيسا للبلدية ، جاء كحل وسط لأبناء رام الله المتخاصمين . لمزيد من التفاصيل عن تعيينه انظر أمين الدجاني ص 108-109

121- يعتبر متري الفراج من مدينة القدس ، وقد عينه الإنتداب البريطاني رئيسا لبلدية رام الله ، لتعثر الإتفاق على شخصية من أبناء رام الله ، وهذ المرة الثانية التي لم يتم الإتفاق على رئيس للبلدية من أبناء رام الله ، ويبدو أن الإنتداب البريطاني كان له اليد الطولى في ذلك .

122- هناك قائمة أيضا بأسماء جميع رؤساء البلدية السابقين . أنظر ملفات بلدية رام الله ، ملف رقم ب ر/1/4/.

123- سليم تماري ونواديا الأنصاري . التغير الإجتماعي . ص 20 .

124- عبد الرحمن بن خلدون . مقدمة ابن خلدون . تحقيق ، حامد أحمد الطاهر، ط 1 ، (القاهرة : دار الفجر للتراث ، 2004). ص 65 .

125- نفسه . ص 20.

126- أنظر سجلات الزواج . سجل الأكاليل التابع لكنيسة دير اللاتين في رام الله .

127- الفرحان . موسوعة المدن الفلسطينية . ص 318.

128- أنظر الملاحق التي تظهرالتعاون بين السكان في عقد البيوت . ملحق رقم (154) .

129- أبو ريا . رام الله قديما . ص 79-80 .

130- نفسه . ص 183 .

131- حسين عقل. مقابلة بتاريخ 19، 12، 2007 .

132- تظهر أسماء الأحواش أيضا في ملفات بلدية رام الله بمسمياتها . أنظر ملف الأملاك, وانظر أيضا الملاحق . ملحق رقم (152) .

133- أبو ريا . رام الله قديما . ص 48 .

134- أنظر الملحق رقم 156 صورة المرأة حافية القدمين .

135- من النعال المصنوعة محليا من جلد البقر . وكانت القليل من النساء من تنتعله ، نظرا لندرته .

136- انظر الملاحق التي تظهر فيه المرأة الرملية بالشال والوقاة ، رغم عدم إسلاميتها . ملحق رقم 156

137- م النيروز . رام الله . ص 176 .

138- سعاد عقل مقابلة بتاريخ 19، 12، 2007.

139- الموسوعة الفلسطينية . القسم الثاني ص 308.

الفصل الثاني

الهجرة والإندماج – نماذج تطبيقية

1- المقدمة .

2- الهجرة من منظور إسرائيلي .

3- اللجوء .

5- الإوضاع المعيشية للمهجرين في رام الله بعد عام 1948

6- أثر المهجرين على الوضع الإقتصادي في رام الله بعد عام 1948

7- الخاتمة.

8- هوامش الفصل.

الفصل الثاني

الهجرة والإندماج – نماذج تطبيقية

المقدمة

قبل الخوض في الحديث عن الهجرة ، أو التهجير القسري والإندماج , لا بد من الإشارة أنه من الطبيعي جدا , أن يكون في أي دولة حراك إجتماعي للأفراد .

هذا الحراك الإجتماعي ينشأ نتيجة الحروب , أو الإضطهاد , أو حب المغامرة والترحال , أو أن يكون المحرك الإقتصادي هوالمسبب . لذا فحركة الأفراد هي حركة دائمة في المجتمعات , ويحتم دخول الأفراد في أي مجتمع , أن يتأثروا فيه , ويندمجوا مع مرور الوقت , بالرغم من التباين في الثقافة , أو اللغة , أو الدين , أو العادات الإجتماعية . إلا أن الهجرة للمجتمعات أو الأفراد في داخل الدولة , يمكن أن تكون داخلية , أو خارجية , مراعية عوامل الجذب والطرد في التجمعات السكانية . إذن , لا بد من توضيح المقصود بالهجرة لغة واصطلاحاً ، ومسبباتها , وأنواعها , حتى يمكن القول , إن هذه الشعوب أو الأفراد المهاجرين , أيمكنهم أن يندمجوا في مكان لجوئهم ؟ أم أن هناك عراقيل أمام اندماجهم ؟ . هذا بالإضافة إلى التعرف على الأوضاع المعيشية لهم في رام الله , ومدى تداخلهم وتغلغلهم في النشاطات

التجارية . وأخيرا , القاء الضوء على دور الأردن في تنمية اقتصاد رام الله , بعد ضم الضفة الغربية تحت الحكم الأردني .

فالهجرة لغة : مأخوذة من الفعل هجر، بمعنى ترك[1] ، والهجر ضد الوصل ، والهجرة بمعنى: الخروج من أرض إلى أرض داخل الدولة , أو خارجها ونقول هجر الرجل بمعنى بعد ونأى. أما المعنى الإصطلاحي للهجرة فتعني : التغيير الدائم أو شبه الدائم في مكان إقامة الفرد ، وقد صنفت إلى :

- الهجرات البدائية : وهي التي تستند إلى محك بيئي , يتمثل في قصور البشر من سيطرتهم على البيئة التي يعيشون فيها , حيث تبدو هذه البيئة قوة طرد لهم , وهذا ما ينطبق على الجماعات البدوية التي تنتقل من مكان لآخر طلبا للكلأ والماء.

- الهجرات الإلزامية أو القسرية : وهي التي تنتج بين الأفراد , نتيجة ضغوط اجتماعية , وهي ذات طابع سياسي لا علاقة لها بالبيئة ، وقد تنتج عن ضغط ديني ، أو اكراه سياسي ، أو تمييز عنصري ، مثل الهجرة الفلسطينية عام 1948م[2] .

- هجرات الضغط : وهذا ما يميّز فيه المهاجر إنه يتعرض للضغط ، إلا أنه يكون في موقف يستطيع أن يقرر الهجرة أو البقاء في مكان سكناه.

- الهجرة الحرّة : وهذه ما يميزها , أن رغبة الأفراد فيها تشكل عنصرا أساسيا , وواضحا في ظهور الدوافع للهجرة ، دونما ضغط بيئي أو اجتماعي أو سياسي ، وأن المهاجر يتمتع بالقدرة على التخطيط المنظم .

– الهجرة الجماعية : ويترتب على هذه الهجرات الإقتداء بالآخرين , واللحاق بهم في المهجر على شكل موجات سكانية متتالية[3] , وغالبا ما تكون في الحروب ، أو في أوضاع الكوارث الطبيعية .

يختلف تعريف الهجرة من علم لآخر , ففي علم السكان ، تعني الإنتقال المكاني والجغرافي للأفراد ، في حين يفسرها علم الاجتماع ، على أنها تدل على تغير الحالة الإجتماعية بتغير الحرفة , أو الطبقة الإجتماعية , لذا فهي تغير محل الفرد بتغير مهنته ، وتنوع إذا كانت هجرة إجبارية أو اختيارية[4] .

وتقسم الهجرة في نفس الوطن أيضا ، إلى هجرة داخلية , وهجرة خارجية ، حيث تفسر الهجرة الداخلية : بأنها عملية إنتقال الاشخاص , أو الجماعات , من منطقة اعتادوا الإقامة فيها ، إلى منطقة أخرى داخل حدود البلد الواحد . وتتطلب عملية الإنتقال هذه , حركة تشمل تغير مكان السكن ، وتغيراً في البيئة الإجتماعية والإقتصادية . وتتسم بقلة التكاليف ، وقلة مشاكل النقل في الخروج عبر الحدود , مع عدم وجود مشكلة في اللغة[5].

والحل الأمثل لجميع هـذه الهجـرات , هوالعـودة الطوعيـة إلـى البلـد الأصلي ، أو التوطين في البلد المضـيف . وذلـك بإدمـاج السـكان (المهجّريـن) تماما مع سكان البلد المضيف ، وهذا مرهون بقبول المهجّر بالثقافة الجديــدة والتكيف معها ، ويعتمد أيضا على الظروف السياسية والإقتصادية والإجتماعية للدولة المضيفة[6] .

عرف الإنسان الهجرة منذ أقدم العصور , فمن الحجاز إلى اليمن ، اتجهت موجات الهجرة إلى مختلف أنحاء شبه الجزيرة العربية وإلى خارجها ، وقد كثرت الهجرات زمن العصر الجاهلي في بعض الأقاليم , طلبا للكلأ والماء أو الغزو[7].

ولعل أهم هجرة حصلت في العالم الاسلامي , هي هجرة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- من مكة إلى يثرب ، ثم الهجرة إلى الحبشة لبعض المسلمين ، طلبا للأمن والأمان ، ويتضح ذلك من خلال انتقال الفرد من مكان إقامته المعتادة الحالية من آخر مكان هو فيه ، إلى مكان آخر بغض النظر عن جنسيته , ويمكن أن يكون الفرد قد هاجر مرة أو أكثر[8] .

الهجرة من منظور اسرائيلي:

عرفت الهجرة حسب مفهوم اليهود ، أنها عودة مشروعة للشعب اليهودي إلى أرض اسرئيل ، لاستعادة حقوقه السياسة , لما فيها من حقوق طبيعية ,

وتاريخية , وتقليدية ، وارتكزت الهجرة على حق الشعب اليهودي بتحقيق آماله في بلاده))[9] .

واعتبر هذا التعريف حق مقدس عند اليهود ، وأن كل يهودي له الحق في الهجرة إلى فلسطين , أرض الأجداد والميعاد , وأن كل يهودي يحب أن يطأ أرض فلسطين , ويبدي رغبة في العيش فيها , ستمنح له الإمتيازات الخاصة , بما فيها , شهادة هجرة اليها[10] . وبهذ تتحقق أفكار الصهونية ، والتي تعد حركة عنصرية استعمارية . قد أصبغت على اليهود الصبغة القومية , والدلالات العرقية . وادّعت أن الشعب اليهودي هو عرق نقي ، ونادت بالمشكلة اليهودية ، وعارضت الإندماج اليهودي في أوطانهم الأصلية

في حين نادت باندماج الفلسطيني بأوطان غير وطنه الأصلي ، ودفعت بالكثير من اليهود بالهجرة إلى فلسطين ، وبهذا تكون الهجرة قد شكلت الركيزة في الفكر الصهيوني، وحجر الزاوية في تنفيذ المشروع الصهيوني[11]

وقد دعم الكثير من الصهاينة هذه الأفكار مثل "الكالاي" عام 1834م عندما قال : " إن التهجير ضروري للخلاص من العرب ودعا إلى إقامة مستوطنات يهودية على أرض فلسطين ". وقد سار على دربه آباء الصهيونية الأوائل وجماعة أحباء صهيون ، الذين نادوا بالعودة إلى الوطن

القومي . وقد انتقلت منه الأفكار إلى العمل المنظم ، وفق خطة عمل مدروسة لخلق واقع جديد يضمنه القانون الدولي[12] .

استمرت الهجرات الصهيونية بكثرة زمن الإنتداب البريطاني ، والذي سهّل لهذه الهجرات هو المندوب السامي اليهودي هربرت صموئيل ، الذي سمح بإدخال 16000 يهودي إلى فلسطين عام 1925 [13] . واستمرت الهجرات الصهيونية , واتصفت بالإزدياد حتى عام 1940 م , مع بدايات الحرب العالمية الثانية . والجدول التالي يمثل الهجرات الصهيونية من عام 1918- 1948م .

شكل رقم (3) ويظهر عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين * بالآلاف , منذ عام 1918 - 1951م .

يتضح من الجدول السابق , أن أعداد اليهود المهاجرين قد أخذ بالإزدياد بين الأعوام 1923-1931م , بسبب القانون الأمريكي الخاص بهجرة يهود أوروبا إلى أمريكا , وذلك بحث اليهود على التوجه إلى فلسطين , عوضا عن توجههم إلى أمريكا . أما الأعوام 1932-1939م , فقد أدت أعمال الحركة النازية في ألمانيا , إلى إجبار يهود أوروبا على الهجرة إلى فلسطين . بينما لوحظت أعداد المهاجرين اليهود من الأعوام 1940-1948 , في التناقص بسبب فرض سلطات الإنتداب القيود على هجرة اليهود إلى فلسطين , محاولة التقرب من العرب للوقوف بجانبها أثناء الحرب العالمية الثانية .

واتضحت حجم الزيادة في الهجرة إلى فلسطين بعد عام 1948 , أثر الإعلان عن قيام الوطن القومي لليهود [14] .

على الصعيد المقابل , هجر مئات الآلاف من الفلسطينيين إثر حرب عام 1948م , من مدنهم وقراهم , واتجهوا إلى أماكن شتى , كل توجه إلى أقرب منطقة آمنة . والجدول التالي يبين أعداد المهجّرين الفلسطينيين حسب المناطق التي توجهوا إليها[15] :

شكل رقم (4) . ويظهر أعداد المهجرين الفلسطينيين بالآلاف , , إلى مختلف المناطق , عام 1948م

يشير الجدول , إن أكثر المناطق التي توجه اليها المهجرون تنازليا , هي الضفة الغربية وغزة , فالأردن ولبنان , وسوريا وغيرها من المناطق العربية كمصر والعراق , اللتين كانتا أقل الدول العربية مكانا لوجود المهجرين الفلسطينيين , إذ توجه إلى العراق 5000 مهجّر , بينما وطأ أرض مصر 11600 مهجّر[16].

وقد ذكر حسين الشريف في كتاب له بعنوان " فلسطين من الحرب التوسعية لتحقيق إسرائيل إلى انتفاضة الأقصى " أن الصهيوني يوسف فاتيس ، ذكر في إحدى مذكراته عام 1940 م أنه قال: "يجب أن يكون واضحا أنه لا يوجد هنا مكان لشعبين , وأن الحل الوحيد هو أن

تصبح اسرائيل الغربية بدون عرب[17] . تأكيد منه على النوايا الصهيونية لتفريغ فلسطين من سكانها . ولهذا اعتبرت الهجرات اليهودية الأولى إلى فلسطين التي سبقت عام 1948م , هي المأساة في تغير الواقع الديموغرافي للسكان في فلسطين , حيث اعتبرت هذه الهجرات هي بداية الصراع[18] .

اللجوء

هناك علاقة ما بين المهاجر واللاجيء , فكلا الحالتين , يقوم الإنسان بترك وطنه الأصلي واللجوء إلى بلد آخر . إلا أن ظاهرة اللجوء , أصعب على الفرد اللاجيء في مكان لجوئه , بحيث يصعب على الفرد اللاجيء الرجوع إلى بلده , في حين تكون الهجرة بأنواعها السابقة هي طوعية , إلا إذا كانت قسرية , مثل هجرة الشعب الفلسطيني عام 1948 .

فاللجوء في اللغة , هي من الفعل لجأ ، نقول لجأ الى الشيء ، وإلى المكان لجوءا ، بمعنى أسند ، ولجأت الى فلان ، بمعنى أسندت اليه , واعتصمت به ، أو عدلت عنه الى غيره[19] .

أما في الإصطلاح ، فهي حالة أنتقال أم حركة مجموعة من الناس ، نتيجة حدث ما ، لفترة من الزمن .

أما اللجوء كظاهرة تاريخية ، فيقال بأن الإغريق , هم أول من منح الحماية للاجئ ، وذلك بجعلهم أماكن العبادة مناطق آمنة . وكان ما على اللاجئ , إلا أن يدخل المعبد ، فيصل إلى الأمان. اتبع الرومان نفس سنة الإغريق ، فجعلوا أماكن العبادة ملاذاً للهارب . في حين عمدت الطوائف المسيحية الكاثوليكية , إلى نصب أعمدة مخصصة للاجئين في الساحات العامة ، وكان ما على الهارب ، إلا أن يقبض على العمود الموجود وسط الساحة , كي تشمله الحصانة والعفو[20].

اعتبرت الهجرة إلى الحبشة , أول حالة لجوء سياسي في الإسلام , وذلك من تأثير تعذيب قريش للمسلمين الأوائل ، وقد اعتبر اللجوء جزءاً من المثل العليا للمجتمع المضيف . لهذا أذن النجاشي بحماية المسلمين ، ورفض طلب قريش بإعادة المسلمين إلى مكة . ويعتبرهذا امتدادا للمثل العليا عند سكان الصحراء , نظراً لقساوة العيش عندهم ، ومن قوانينهم أنه من يخترق تلك المثل ، يتعرض للأذى والسخرية ، حيث عملوا أماكن في الصحراء تعتبر مقدسة تمنح حق اللجوء لأي انسان يداخلها مثل حرم مكة[21] .

وبعد الإسلام , اعتبرت أيضا المدينة المنورة ملاذاً آمناً للرسول (صلى الله عليه وسلم) , وأتباعه من أذى قريش ، وأكد القرآن على هذه الظاهرة بقوله تعالى :"وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه[22] .

وظاهرة اللجوء أيضا , هي ظاهرة عالمية ومحلية ، وأن هناك أعدادا كثيرة في العالم هاجرت من مكان لآخر وأصبحت لاجئة ، فمثلا ، بلغ عدد المهاجرين في أفغانستان عام 1911م حوالي 6 مليون ونصف المليون نسمة ، والعراق قبل حرب الخليج , حوالي 217500 لاجئ ، والصين حوالي 114 ألف لاجيء , وتشاد 132 ألف لاجيء . وهناك مجموعات طردت ، مثل يهود إسبانيا , حيث تم طردهم من اسبانيا , وقدر عدد من طرد حوالي 120 - 150 ألف شخصا ، عام 1492م لاعتبارات سياسية ، مع إجلاء حوالي 275 ألف مسلم أيضا ، الذين لم يتنازلوا عن دينهم[23] ، وكذلك هجّر الإنجليز عام 1745م , مجموعة كبيرة من الكويكرز الأسكتلندية إلى إسبانيا , وفرنسا , وأمريكيا الجنوبية . وعمدت فرنسا على طرد البروتستانت عام 1598م . وفي عام 1620م , تم سحق المدن وحرمان البروتستانت من حقوقهم السياسية.

عمد الاستعمار بعد الثورة الصناعية , إلى تهجير أعداد من العمال إلى العمل في المناجم , وأسواق الرقيق ، التي استعملت لبيع العبيد بعد تهجيرهم من بلادهم ، ونذكر أخيرا ، أن الحركة الصهيونية عمدت عام 1948م إلى تهجير أكثر من 750 ألف مواطن فلسطيني ، من مدنهم وقراهم لتأسيس دولة إسرائيل[24] .

وهناك الكثير من حالات اللجوء في العالم ، مثل لجوء الأسكتلنديين إلى بريطانيا وقد قدرعددهم بـ 200ألف نسمة ، وقد استفاد بعض المهاجرين من

بلاد أخرى ، وأصبحوا مستعمرين للبلد المضيف لهم مثل هجرة اليهود إلى فلسطين وهجرة الإنجليز إلى أمريكا[25]. حيث استعمر اليهود فلسطين لاحقا , واستعمر الإنجليز أمريكا

فاللجوء كحالة انتقال , شعب أو مجموعة من الناس نتيجة حدث ما إلى منطقة أخرى ، يأخذ اللاجئ – مع الوقت - فيها شكل الحضارة وسمات الدولة المضيفة له[26]

وبعد وضع الميثاق المتعلق بتعريف اللاجئ وحقوقه في هيئة الامم عام 1951. عرف : "بأنه كل شخص ترك بلده لعدوان خارجي ، احتلال أو سيطرة أجنبية ، أو حوادث أدت إلى حدوث اضراب في النظام , أو في جزء من الوطن , أو كله . وأجبر نتيجة ذلك على ترك موطن سكنه ، وإقامته في بلد آخر خارج بلده الأصلي . في حين هناك نوع من اللاجئين لا ينطبق عليهم هذا التعريف وهم ما يسمون بالغرباء[27] .

أما التعريف الأمريكي للاجئ ، فقد عرّف : بأنه كل من تم اقتلاعه من مكانه نتيجة للصراع . وتريد أمريكا من هذا التعريف أن تشمل اليهود الذين هاجروا من الدول العربية الى اسرائيل ، ليتم تعويضهم عن ممتلكاتهم التي تركوها وراءهم[28] ، في حين , أطلق المصطلح على اللاجئ الفلسطيني الذي هجر من مدن وريف فلسطين أثر حرب عام 1948، وقدر هؤلاء بأكثر من 750 ألف لاجئ ، إلا أنه يصعب

جداً تحديد عدد اللاجئين الفلسطينين ، وتعريف اللاجيء الفلسطيني ، وذلك بسبب تناقض الأقوال للكثير من الباحثين في هذا المجال[29] . فمنهم من كان إسرائيليا وذكر أعداد اللاجئين حوالي 669 ألف لاجئ ، في حين ذكرت الإحصائيات في وكالة الغوث , ومن يعمل معها أعداد اللاجئين حوالي 875 ألف لاجيء . لأن الوكالة عرّفت اللاجيء خدماتيا ، وليس سياسيا ، فطرحت كل من لم يسجل اسمه ، وأهملت الذين كانوا خارج فلسطين قبل الحرب ، أو من لم يتلق مساعدات منها[30] . فعرفته : "أنه كل إنسان كان يسكن فلسطين ما بين الأول من حزيران عام 1946م وحتى أيار عام 1948م ، وقد فقد منزله وأسباب معيشته"[31].

أما الباحثون الفلسطينيون , والمهتمون باللجوء الفلسطيني فقد ذكروا أعداد اللاجئين بين (800-900) ألف لاجئ فلسطيني ، توجه معظهم إلى الدول العربية[32] وهم الأشخاص الذين كانت فلسطين موطنهم الطبيعي ، فترة الأول من حزيران عام 1946 الى أيار عام 1948 ، وفقدوا منازلهم وأرزاقهم ، ولم يستطيعوا العودة ثانية إلى منازلهم ، بعكس النازحين الذين غادروا منازلهم في الضفة الغربية وقطاع غزة أو كانوا غير قادرين على العودة إلى منازلهم بعد أحداث عام 1967 .[33]

شكل المهجرون كارثة حقيقية للبلدان المضيفة لهم ، بسبب كونهم مختلفين اجتماعيا ، فمنهم الغني , والفقير , والمزارع , والتاجر, والصانع ,

والمسلم , والمسيحي , والمتعلم , والأمي . وقد وجد هذا الإختلاف بين المهجرين أنفسهم ، فكيف يتجانسون مع الدولة المضيفة لهم؟ فشعروا بالذعر , والخوف , وانتشرت الفوضى وأعمال السلب والنهب وقطع الطريق[34]. وقد وصف (الكونت برنادوت) , الذي عمل كوسيط لمنظمة الأمم المتحدة[35] في رام الله بقوله: " لقد رأيت أعداداً من اللاجئين في عدة أماكن لكن لم أر قط مشهدا مروعا أكثر من المشهد الذي رأيته في رام الله ، فالجموع الهائلة عصفت بسيارتي وهي تصرخ مطالبة بالطعام والدواء[36]. والذي تم اغتياله في القدس بتاريخ 17/9/1948، عندما أوقف سيارته ثلاثة رجال , يلبسون البدلات العسكرية الاسرائيلية ، وأطلق أحدهم النار عليه وأرداه قتيلا .

ووصف عارف العارف المهجرين أيضا بقوله :"عند قدوم اللاجئين إلى رام الله ، لم يبق فيها موطيء قدم ،إلا وقد أوى إليه اللاجئون ، سواء أكان ذلك في البيوت المتواضعة أوالمتاجرأوالحانات أوالمقاهي أو الاصطبلات أوالمدارس أوالكنائس والمساجد والمغاور والكهوف ، وعلى أجناب الطرق ، ناهيك عن أرتال من البشرالتي مازالت ترى قادمة إلى رام الله وأفواج تغادر،لأن رام الله لم تستوعب هذا الكم من البشر"[37].

ويدعم الأستاذ علي الخطيب هذا القول ، بقوله :"إن مشهد رام الله عندما وفد إليها المهجرون كان عظيما ومخزياً حقاً ، لأنه لم

يخطر ببال المهجريين يوماً ما أن يتكدسّوا أرتالا على بعضهم البعض فقد ناموا بين السماء والطارق ، وقد تحوّل قسم منهم إلى متسول أو عالة على غيره ، سواء أكان من أقاربه أو أصدقائه ، لأن رام الله بسكانها وقتئذ لم يكونوا مهيئين لمثل هذا الحدث ، وكانت النكبة سببا طاردا للعديد من أبناء رام الله إلى هجرتهم إلى أمريكا[38]. وأكد هذه الأقوال أيضا المؤرخ الإسرائيلي بني مورس على ذلك بقوله : " إن اللاجئين كانوا ينامون تحت الأشجار وعلى جوانب الطرق والكهوف ، وأن شهر أيلول القادم بمطره ، وأن هناك مشكلة كبيرة ستقع ويعاني منها اللاجئون وغيرهم ، ناهيك عن نقص كبير في المياه والخيام والأكل ، إلا أن السعيد من اللاجئين الأوائل الذين غادروا البلاد وقد ملك بيتاً في رام الله عند أقاربه أو اصدقائه أو اشترى بيتا جديداً[39]. وقد ساعدتهم أموالهم بالتأقلم والإندماج ، ولم يواجهوا مشكلة سكن أكثر من غيرهم ، في حين كان الحديث عن العودة إلى بلادهم مجرد أيام ، وبعد مضي بعض الأيام أصبح الحلم يتبدد ، لأن حق العودة يصيب الإسرائيلين بالذعر والغضب , لكونه يتناقض مع طبيعة المشروع الصهيوني , الرامي إلى إقامة كيان يهودي على حساب الوجود الفلسطيني[40] .

الإندماج الإجتماعي

هل يمكن للمهاجرين أو اللاجئين إلى شعوب أخرى , أن يكون اندماجهم فيها , أمرا قسريا , أم طوعيا ؟ . من المفترض أن يكون الإندماج الإجتماعي , وصهر الأفراد فيما بينهم داخل الدولة الواحدة , أمرا سهلا ، بحكم اللغة المشتركة , والثقافة والدين , حتى تسير الحياة بشكل طبيعي . فالإندماج الإجتماعي للاجئ بشكل عام يعني : "القضاء أو التخلي تماما عن الهوية المميزة للاجئين كجماعة ، والقضاء على مكانتهم كلاجئين ، وذلك تمهيدا لدمجهم سياسيا في الدولة التي لجؤوا إليها ، حتى يصبحوا مواطنين لهم كل الحقوق كباقي الأفراد . وهذا ما ينطبق على سكان المدينة , أو القرية , أو أي تجمع ما للناس إذا دخل بينهم من يحتمي بهم"[41]. فهل شكل المهجّرون الفلسطينيون في رام الله , هذا الإندماج الحقيقي بين السكان .

يعتبر الإندماج الإجتماعي بين شعبين غير متكافئين إجتماعيا ، أمرًا صعبا في بداية الأمر, ويكون الإندماج بينهما قهريا في بعض الأوقات , لمن يرغم على المكوث والسكن مكان لجوئه ، إلا أن هناك حالات كثيرة وجدت بين الشعوب ، اعتبر فيها الإندماج أمرًا سهلا ، وهناك حالات بات الإندماج فيها في غاية الصعوبة . وهذا يرجع إلى التغير في البنى الإجتماعية , أو الدينية في الدولة . في حين , يسبق الإندماج الإجتماعي في الدولة تطور إقتصادي ، وتغير إجتماعي .

فالتغير الإجتماعي لا يكون دائما نحو الأصح , فيمكن أن يكون للأصلح , أو للأسوأ، وقد استخدم علماء الإجتماع اصطلاح التغير الإجتماعي للتعبير عن ظاهرة التحول والنمو والتكيف والملاءمة بين المجتمعات . وقد أكد عالم الإجتماع الشهير (مالنيوفسكي)[42] ، أن في التغير الإجتماعي يتحول نظام المجتمع من نموذج إلى آخر ، وأن عملية التغير هذه , تنتقل لمجتمع من حالة يسودها التجانس إلى حالة اللاتجانس ، ويكون معنى التغير الإجتماعي , هو الاختلاف ما بين الحالة الجديدة , والحالة القديمة خلال فترة من الزمن[43] . فهل حصل عند شعوب أخرى , وأجبرت هذه الشعوب على الإندماج في مكان لجوئها ؟ وهل كان اندماجها قسرا أم طوعا ؟ . وهذا ما يلاحظ من خلال الدراسة .

فهناك الكثير من الدراسات قد اظهرت أن من يلجأ عند شعب آخر ، قد يتأثر به ، ويندمج فيه مع مرور الوقت ، لا أن يندمج الشعب المضيف مع اللاجئين اليه .

فهل بمقدورالشعب المضيف أن يغيّر من عاداته وتقاليده وتراثه , من أجل أن يحتوي الجماعات الوافدة اليه؟ . فقد اتضح من خلال الدراسة الأولى , بعنوان " صراع الغربة والإندماج "[44] لإبراهيم حياتي ، أنه من الصعب جدا على المهاجرين , أو اللاجئين أن يتقبلوا أفكار , وعادات , وسلوك , وتراث الشعب المضيف لها بسهولة . وأنه يجب على المهاجرين أنفسهم , أن يتخلوا

عن بعض عاداتهم وتقاليدهم , كثمن قبولهم في المجتمع المضيف لهم ، وربما يكون عليهم بعض التنازلات العقائدية , حتى يندمجوا في المجتمع الجديد . وخير مثال على ذلك , العرب عند هجرتهم إلى أمريكا , الذين لديهم العادات والتقاليد الأصيلة , يتحلون بها في مجتمعاتهم الخاصة ، وأنهم لم يؤثروا أبدا في المجتمعات المضيفة لهم ، وجعل الأمريكان , مثلا , أن يتأثروا بعادات العرب . بل وضعت أمريكا عراقيل جمة أمام العرب حتى يصبحوا أمريكين (مجنسين) . وأدركوا أيضا أن هناك هوة واسعة جدا تفصلهم عن هذا المجتمع ، ما داموا متمسكين بالعائلة والعشيرة والدين والقومية والشرف ولم يكن باستطاعتهم أن يكونوا أمريكين لاعتبارات أمريكية أيضا [45] .

هناك الكثير من العرب اعتبر أن أمريكا هي الوطن الدائم له ، وحتى يثبت ذلك لهم غير في الكثير من مجالات حياته ، وأهمها التفكير , والسلوك , ونمط السكن . وأن ظاهرة الزواج من الأمريكيات , أصبحت مقبولة جدا بين العرب . وهذا ما وجد حقيقة في سجلات الزواج والطلاق في محكمة رام الله الشرعية ، التي بينت أن الكثير من العرب الفلسطينيين مثلا , من ضحوا بزواجهم في سبيل المواطنة[46] . وأدرك العربي أخيرا , أنه يجب عليه أن يصبح أمريكيا وأن يذوب في المجتمع الأمريكي الجديد تدريجيا مع زوجته الجديدة[47] . وأن يكون عربيا أمريكيا يشارك في الحياة السياسية[48].

لذا , يلاحظ على المجتمع المضيف أنه يؤثر في سلوك ونمط حياة الجماعات الوافدة إليه , حتى يغدو جزءا منه ، ويجب على الجماعات المهاجرة , أن تتقبل طوعا هذه التغييرات حتى تدمج فيه طوعا وليس قسرا ، وإن الأقلية يجب أن تذوب وتتصهرفي الاغلبية[49]

وهناك دراسة أخرى حول الإندماج الإجتماعي , وأثره على العلاقات الإجتماعية و الإقتصادية داخل الدولة , وهي للكاتب الإسرائيلي (ساك موشيه) , بعنوان "الإنتلجنتسيا الروسية في إسرائيل بين الإنعزال والإندماج[50] " بين الباحث فيها أن الأقلية يجب أن تتصهر في الأغلبية , وتكون جزءا من المجتمع المضيف . إلا أن اليهود الروس" الإنتلجنتسيا" ، وهي الفئات المثقفة من الناس ، حافظوا على الهوية الثقافية , والإجتماعية الخاصة بهم ، كما حافظ المسلمون , مثلا , على هويتهم في أوروبا وغيرها , واعتبر اليهود الروس أنفسهم متفوقين على غيرهم مهنيا ، وذلك بوجود الشعراء والفنانين والأطباء والعلماء و الفلاسفة. هذه النظرة جعلتهم ينفردون في الأندية الخاصة بهم , والمراكز الأخرى مثل ، الصحافة , والإذاعة المحلية ، لدرجة أن أحدهم قال : " إننا كأفراد ضائعون ومحبطون بعكس كوننا جماعات فاننا نعطي كثيرا[51] . هذا الأنعزال لهذه الفئة من اليهود أقلق الحكومة الإسرائيلية , وجعلها تنشىء لهم الصحافة الخاصة بهم ، حتى وصل عددها الى 50 صحيفة ومجلة , منها اليومية , والأخرى الأسبوعية ، وأن

الحكومة قدمت معلومات تغذي بها اليهود الروس عن المجتمع اليهودي ، وتشمل عملية اندماجهم إجتماعيا وتقبلهم لليهود الآخرين ، حتى جعلت الكثير منهم يقرؤون الصحف العبرية ويسمعون الأخبار في الاذاعة العبرية شيئا فشيئا إلى أن تم استيعابهم في كل مرافق الحكومة[52]. واندمجوا فيها طوعا وليس قهرا .

إذن ، يواجه كل شعب جديد , يلجأ , او يهاجر, أو يفد الى شعب آخر صعوبات جمة تجعله غير متجانس فيه . إلا أنه سيجبر نهاية على الإندماج في المجتمع . وأكد ذلك محمد الجوهر في دراسة عن "اندماج العرب في المانيا"، والذي أكد فيها ، أن إندماج العرب في ألمانيا، كان يتطلب منهم إجادة اللغة الألمانية , مع إقامة علاقات مميزة , وصداقات حميمة مع أبناء المجتمع الألماني ، هذا بالإضافة إلى الإنتماء إلى منظمات المجتمع المدني ، والأحزاب السياسية ، أوالسكن بجوار الألمان . وأوضح أنه على العربي أن يحارب ظاهرة التجمعات العربية الخاصة بهم ، وأن يلتحق بالمدارس الألمانية والمؤسسات الأخرى[53] . ويؤكد الباحث أنه إذا كان العرب يشكلون في ألمانيا نسبة 3.94 % من المجتمع الألماني ، ولم يستطيعوا الإندماج فيه مثل غيرهم من المجتمعات , فان ذلك يعزى إلى عدم معرفتهم التامة باللغة الألمانية , وانخفاض الزواج من الألمانيات . ولم تسجل هناك حالات في الإنضمام إلى

الأحزاب السياسة . وإقامة علاقات مع الألمان، وظل ارتباطهم مرهونا بحاجة المانيا إلى أيد عاملة غير ماهرة .

عدم الإندماج هذا , أدى إلى تقصير العرب عن نقل الصورة الحقيقية , والصحيحة عنهم في المانيا ، وعدم التاثر فيه ، ولهذا لم تعمل الحكومة بدعم الجالية العربية في المانيا , لعدم معرفتهم لغتها، والتي تكون خطوة أولى في اندماجهم في الدولة[54] ، وقد اشترطت ألمانيا على الجاليات الوافدة إليها من العرب أن يجيب عن 30 سؤالا ، منها الشذوذ الجنسي لدى الأبناء ، أو زواج الشاب المسلم من فتاة المانية ، أو أن لا يؤمن بأي دين ، وجاء هذا ردا على الرعيل الأول من المهاجرين اليها الذين ظلوا متمسكين بعاداتهم وتقاليدهم الاصلية[55] .

لذا , فالإندماج دائما يتطلب من المهاجر , أو اللاجئ , التنازل عن أشياء كثيرة مقابل اعتراف به كمواطن أو يظهـر انـدماجه انـدماجا تامـا فـي الدولـة الجديــدة. فأوروبــا مثلا صــنفت المهاجرين إليها بثلاث أصناف[56] :

الفئة المستوعبة : وهم فئة قليلة انصهرت في البناء الإجتماعي الثقافي في إطار القيم والعادات والتقاليد الغربية وهؤلاء حققوا نجاحات عظيمة .

والفئة الثانية هي فئة المندمجين : وهم من حافظ قليلا على ثقافتهم

ودينهم , وكادوا الاندماج كليا في المجتمعات الأوروبية بعكس الفئة الثالثة وهي فئة المتمردين : وهؤلاء ما زالوا يرفضون فكرة الإندماج مع الأوروبيين لأنه لم تتح لهم الظروف ليندمجوا في المجتمع الأوروبي، فعاشوا في أحياء منفصلة , بظروف صعبة من فقر وبطالة , حتى يتحتم عليهم الإندماج في هذه المجتمعات .

في حين أكد محمود ميعاري , في دراسة أعدها عن " الإندماج الإجتماعي في فلسطين" بشكل عام[57] ، أنه بالرغم من حالة التشتت الذي يعانيه المجتمع الفلسطيني ، بين أقطار الدولة العربية وفلسطين نفسها من ضفة غربية وقطاع غزة محليون ولاجئون مسلمون ومسيحيون، و بالرغم من تشابه سكان فلسطين في الثقافة والدين ، إلا أن الإندماج لم يحدث مع المجتمعات المضيفة لهم عند لجوئهم اليها . وهذا ما نتج عن دراسة أيضا أجرتها مؤسسة العلوم الإجتماعية التطبيقية على بعض المخيمات الفلسطينية , وهي مخيم عسكر في الضفة الغربية , والوحدات , والبقعة في الأردن , والرشيدية في لبنان ، فاستنتج أن هناك اندماج جزئي في مخيم عسكر والوحدات والبقعة ، في حين كان الإندماج الإجتماعي معدما في مخيم الرشيدية في لبنان مع المجتمع المضيف له[58]

أما اندماج المهجرين في غير المخيمات , فهو أشد وأقوى بينهم وبين المجتمات المضيفة له ، حيث وُجد أن المهجرين في رام الله كانوا أسرع

اندماجا مع مجتمع رام الله ، وأكثر تغلغلا في بيئته الإجتماعية عن غيرهم من المهجرين في مخيم الجلزون مثلا , أو الأمعري , أو قلنديا . فوضع المهجر الفلسطيني في موقعه السكني , كان يقصد به التدجين والإندماج , واندماجه في المجتمع المضيف له , بالرغم من التجانس بين الشعب الواحد . سواء أكان الإندماج قسريا أو طوعيا ، ومحاولة إعطائه صفة الساكن الدائم محل إقامته . إلا إنهم حافظوا على أماكن سكنهم بشكل جماعي على ذاتية خاصة بهم ، وهي الهوية الوطنية المربوطة بمحل اقتلاعهم الأول[59].

إلا إن ميعاري يؤكد ثانية , إن هناك ابتعادا اجتماعيا بين المسلمين والمسيحيين في مدن فلسطينية , بالرغم من تشابه المسلمين والمسيحيين في كثير من الأمور ، مثل الإنخراط في الأحزاب السياسية , والسكن , والبيوت المجاورة ، ومشاركة البعض في المناسبات الوطنية والإجتماعية. وبالرغم من الفروق الدينية بين الفلسطينيين , إلا إنه لم يولد بينهم أي نوع من المشاحنات التي تعرقل الوحدة الوطنية . وبالغم من هذا , فإن المسيحيين يعطون أولوية لإبن طائفتهم الحق في التعامل التجاري , والتوظيف في مؤسساتهم الخاصة على المسلمين[60] .

الفرضية التي وضعها ميعاري , لمقياس مدى الإندماج بين المجتمعات هي ، أن الأقلية دائما ترغب في الإندماج مع أبناء الأغلبية ، وإن المهاجر , أو اللاجئ يدمج مع المجتمع المضيف . بينما يعارض دائما أبناء الأغلبية

الإندماج , أو عقد علاقات إجتماعية مع أبناء الاقلية ، وقد أثبت ذلك في دراسته ، وتوصل إلى استنتاج مفاده , أن أبناء غزة مثلا , يؤيدون الإندماج مع أبناء الضفة الغربية ، بعكس أبناء الضفة الغربية , الذين لا يريدون إقامة علاقات , أو الإندماج مع أبناء غزة . ثم إن المهجرين يؤيدون الإندماج مع الساكن المحلي (غير سكان المخيمات) ، بعكس السكان المحليين الذين لا يريدون الإندماج بالمهجرين ، وقس على ذلك أبناء العرب الأقلية في (اسرائيل) , يؤيدون إقامة علاقات مع الإسرائيليين ، في حين , لم يرغب الإسرائيليون في إقامة علاقات مع الفلسطينيين , كعلاقة صداقة[61] , وهذا ما هو على الحقيقة أصلا .

الأوضاع المعيشية للمهجّرين في رام الله بعد عام 1948م

اعتبرت رام الله هي أكثر المدن الفلسطينية , التي تعرضت لموجات اللاجئين الفلسطينيين , بعد حرب عام 1948 عن غيرها من المدن الفلسطينية ، الأمر الذي جعلها تتعايش لاحقا مع بيئات مختلفة تماما , أثرت وتأثرت بها ، وأن المهجرين أصبحوا - فيما بعد - جزءاً لا يتجزأ من مجتمع رام الله , مستفيدين من الخلخلة السكانية , التي نشأت عن هجرة ابناء رام الله إلى الأمريكيتين[62] . وأن الكثير من المهجرين كانوا من عائلات مختلفة ،

وأصحاب مهن مختلفة ، فقد كان الأكثر عددا , من هاجر من يافا وحيفا واللد والرملة[63] . وقد عرفوا في رام الله بأبناء الساحل نظرا لوقوع رام الله على جبل[64] . ، وأن هذه التسمية للتمييز بين سكان رام الله والمهجرين

أما ما هوّن على المهجّرين وسكان رام الله من الناحيتين السياسية والإقتصادية , هو الحاق رام الله بالضفة الشرقية ، وشعور المواطنين بنوع من الأمن والطمأنينة والإستقرار . وتشجيع الحكومة الأردنية إنشاء الاحزاب السياسية لتناسي أثار النكبة مثل الحزب الشيوعي , وحزب البعث الإشتراكي . وبعد استقرار الأوضاع في الضفة الغربية ، فقد كانت رام الله من أكثر المدن الفلسطينية ملاحقة للأحزاب فيها ، من قبل الحكومة الأردنية ، إذ تعرضت مرات عديدة لمنع التجوال فيها بهدف ملاحقة زعماء الاحزاب[65] . ويؤكد صبري عقل , أحد سكان رام الله الذين شملتهم المقابلات , أنه تعرض للإعتقال لمدة سنتين ونصف , على خلفية سياسية عام 1957 ، وأن سطح منزله كان يقف عليه الجنود الأردنيين عندما كانوا يمنعون التجوال[66] .

غيرت الحكومة الأردنية في بداية عهدها العملة المتداولة , من الجنيه الفلسطيني إلى الدينار الأردني عام 1949 ، وعملت أيضا لرقي رام الله عدة أعمال ، منها : المساهمة في إنشاء الغرفة التجارية عام 1950 ، وافتتحت فيها المدارس ، فبنت مدرسة رام الله الثانوية (حاليًا) عام 1952م، وأسست عام 1953 بالتعاون مع وزارة الشؤون الإجتماعية دار رعاية الأحداث ،

لاحتواء الأيتام والمشردين ، وتم إنشاء جمعية الهلال الأحمر الأردني عام 1954 ، وفي عهدها شيدت كلية المعلمين التابع لوكالة الغوث عام 1956م، وشيدت مكتبة رام الله العامة عام 1956-1957م ، وعام 1959م بوشر العمل ببناء مستشفى رام الله الحكومي ، أما في عام 1960 , فقد أنشأت بالتعاون مع البلدية سوق الخضار[67] .

أما المهجّرون فبعد تحطيم عائلاتهم الأصلية , وتشتت أفرادها ، حتم على أبناء الحامولة الواحدة أن تتحد في أماكنهم الجديدة ، وهذا يدل على تصميم العائلات الفلسطينية , في الحفاظ على الجزء المتبقي من النسيج الإجتماعي الحمائلي من العهد القديم ، وأن التضامن العائلي , بات موجوداً للحفاظ على الصلات الإجتماعية القائمة ، وتوفير درجة من التكافل الاجتماعي . فرغم الخطر الذي فرض عليهم ، إلا أنهم أصروا على المصاهرة فيما بينهم ، للتأكيد على هذا التكافل[68].

انتشرت ظاهرة المصاهرة هذه , بشكل واسع في رام الله ، إذ لوحظ أثناء الدراسة , أن سجل زواج رقم 5 عام 1949م ، قد أشار إلى زواج المهجّرين بعضهم من بعض ، بحيث زادت نسبة الزواج بشكل ملحوظ , ولم يسبق له مثيل في رام الله , وأن نسبة المتزوجين من نفس عائلاتهم كان يقارب ألـ 95% من الذين سكنوا مخيم قدورة ورام الله[69].

أما الطلاق , فلا يوجد سوى نسبة قليلة منه , اذ لا يتعدى حالة أو حالتين في السنة الأولى من اللجوء ، بين المهجّرين المسلمين ، في حين وجدت نسبة من المتزوجين قبل عام 1948م من مسيحي رام الله مع غيرهم من مدن يافا , وحيفا , والناصرة , واللد , والرملة . وهناك حالات عديدة من الزواج ثبتت في سجلات الكنائس في رام الله ، مما يدل على العلاقات الإجتماعية التي وجدت قبل حرب عام 1948م . الأمر الذي ساهم في سرعة وسهولة الإندماج لدى المهجرين في رام الله ، مقارنة مع غيرهم ممن سكن خارج رام الله ، والذي ظل المخيم عنوان لجوئه[70]. تفيد أيضا سجلات المحكمة الشرعية الموجودة في رام الله , إلى وجود عقود زواج كثيرة بين عائلات المهجرين ، أمثال , زواج أهل ديرطريف معا ، وأل أبو كويك , وأبو شوشة والنبالیين وغيرهم[71]. ويفسر أحد المهجرين هذه النسبة الكبيرة من الزواج بين المهجرين ، خوف المهجّر على بناته , حتى ولو لم تبلغ ابنته سن الزواج ، وكثرة الثيبات والعوانس , ووجود الكثير من الشباب الذين كانوا يخدمون في الجيش العربي بدون زواج ، فاعتبرت هذه مناسبة لهم ، وهذا ما آشارت إليه سجلات المحكمة الشرعية في سجلات الزواج ، من خلال السؤال عن مهنة الزوج ، التي دلت على مهنته كعسكري ، أو جندي ، أو مقاتل[72] .

ويذكرالسيد أحمد الخطيب[73] "أن هناك خوفا محتملا من الأيام القادمة ، فوجود البنت مع زوجها أفضل من وجودها مع أبيها ، هذا بالإضافة إلى الإختلاط والإكتظاظ وعدم سيطرة الأب على

أبنائه وبيته بشكل عام داخل هذا الكم الهائل من البشر" . فما كان من العريس إلا أن يدفع بعض الجنيهات أو الدنانير مقابل الزواج ، ووجد في سجلات الزواج ممن تزوجوا بغير مهر يذكر ، وهؤلاء كنّ من المطلقات أو العوانس[74] .

تبين في الدراسة لسجلات الطلاق في المحكمة الشرعية الواقعة بعد عام 1954م ، أن نسبة كبيرة من المطلقات والمطلقين كانوا من بين المهجّرين أنفسهم[75] , نظرا لكثرة الأعداد , وشعورهم بنوع من الإستقرار , والتعرف أكثر على المجتمع الجديد , الذي سرع في إيجاد علاقات نسب , ما بين المهجرين وأهالى رام الله .

من هذا المنطلق ، يمكن القول أن سكان رام الله قد انقسموا إلى ثلاثة أقسام : الأول , قسم أصل لها , وهم مسيحيون أبناء عائلة الحدادين التي قدمت من الكرك , واستوطنت رام الله ، وكوّنت الخمس حمائل الأولى آنذاك ، وهم أولاد راشد الحدادين الذين سبق ذكرهم. أما القسم الثاني ، فهي العائلات المسيحية الوافدة إلى رام الله قبل عام 48 ، مثل آل العجلوني والرفايدة وحشمة ودبيني ، والربضي ، والذين أصبحوا - مع الزمن- جزءا لا يتجزأ من نسيج رام الله الإجتماعي . ولكنّ السؤال الأهم والأصعب هو ، هل وجد المهجّرون عام 1948م رام الله ملجأ دائما لهم ، واندمجوا فيها كالعائلات التي سبقتهم إلى رام الله ، وغيروا التركيبة الإجتماعية في رام الله

بإيجاد أسماء عائلات جديدة , لم تألفها رام الله من قبل؟. وهل هذه العائلات ما زالت موجودة وتعتبرنفسها من رام الله كغيرها ؟ فاذا كان الجواب بالإيجاب ، يمكن القول إن هناك قسم ثالث لسكان رام الله , وهم المهجرون .

ولكن السؤال عن الإندماج في رام الله من قبل المهجّرين , أهو اندماج طبيعي أم اندماج قسري ؟ فان الإجابة على هذا السؤال , تبقى مفتوحة أمام الباحثين ، لما يرى من مشاهد متناقضة مع مرور الزمن , في وضع المهجرين الذين ما زالوا يسكنون رام الله ، والذين فاقوا سكان رام الله الاصليين في العقارات والأموال ، وأن وضعهم الإقتصادي في نمو مستمر . ولا يمكن للواقف على الأحداث أن يميز بين المهجّر , والساكن الأصلي في موقع واحد , إلا اسم العائلة التي ينحدر منها . وعند التعريف به أمام الباحثين ، فيقول بأنه من رام الله ، وأنه من عائلة كذا كإشارة إلى البلد التي هجّر منها . وهذا ما يلاحظ من صغار السن في العقود الثالثة , أو الرابعة من العمر. فالإندماج كان قسريا في زمن ما , ومع مرور الزمن , أصبح الإندماج طوعيا[76]. وهذا ما أفادته إحدى المعمرات نقلا عن جارتها المهجرة والساكنة في رام الله ، أنها لا تفكر مطلقا بالرجوع الى اللد ، وأنها كونت ثروة هائلة جدا في رام الله متمثلة في أولادها وأعمالهم ، وأن أولادها يعرّفوا على أنفسهم بأنهم من رام الله .

شكل هؤلاء المهجرون النسبة الكبيرة من سكان رام الله عند لجوئهم ، إذ ارتفع سكان رام الله أنذاك إلى 14 ألف نسمة[77]. لدرجة أن الحكومة الأردنية قد أعطت كل مهجّرأيام التهجير الأولى بيضة واحدة ، وخمس حبات زيتون ، وقطعة حلوى واحدة , كترفيه عن النفس[78]. وللدلالة على عجزها إطعامهم .

تمركز المهجرون المسيحيون أثر النكبة حول البلدة القديمة من رام الله ، وكونوا مخيم (المسكوبية) , الذي كان سابقا , وموقعه بالقرب من مدرسة عزيز شاهين اليوم ، والقريب من العائلات المسيحية ، وتمركز جزء من المهجرين أيضا في منطقة البريجمة , وكونوا مخيما عرف باسم مخيم البريجمة ، الواقع في المنطقة الصناعية التابعة لرام الله اليوم[79]. أما الآخرون فقد تمركزوا حولها ، وعلى أراضي عائلة قدورة عنوة , والتي ترجع ملكيتها لعائلة لبنانية ، ومع الوقت بنى المهجرون ما يعرف اليوم بمخيم قدورة , الذي ما زال ماثلا , والتي لم تعترف به الوكالة حتى اليوم[80] . في حين تمركز المهجرون من قرية بيت اكسا القريبة من القدس ، أثر حرب عام 1948 , في قلب رام الله وعلى الأراضي التابعة للبلدية ، إلا ان البلدية منحتهم أرض الخان كاملة (مكان وقوف الدواب الخاصة بالتجار, وهو ما يماثل الموقف , أو الفندق في أيامنا هذه) ، لأن الخان كان يفد اليه الكثير من

الزوار والتجار البعيدين عن رام الله . فأقاموا عليها بيوتا ما زالت حتى الآن , وكونوا حارة كاملة تسمى حارة الكساونة , والتي ما زالت ماثلة حتى اليوم.[81]

خضع هذا الكم الكبير من السكان , للعديد من المعاييرالإجتماعية ، التي سرعان ما انصهروا فيها , وكونوا مجتمعا متكافلا , متجاوزين كل الفروقات الإجتماعية فيما بينهم ، وازداد عدد العائلات في رام الله كعائلات دخيلة لم تألفها رام الله من ذي قبل ، مثل النبالي , والطيراوي , والطريفي , وصرصور , وخضير , والناطور , وجدع , والحوت , وزكاك , وقهوجي , وسكاكيني ودحدح , ولحام , وساعاتي , وطنوس , وقرنفل , وشنارة , ودباح , والقاعود , وطوشة والحن.[82]

هذه العائلات الجديدة بدأت تشق طريقها وتدخل في النسيج الإجتماعي بمدينة رام الله الذي تعرض لكثير من الخلخلات والاهتزازات من الداخل ، وأن سمات جديدة بدأت تطفوعلى السطح ، مع ذوبان الفوارق الاجتماعية التي أخذت بالأفول تدريجيا . وأن هذا المجتمع الجديد غير المتجانس، قد تلاحم رغم المعاناة ، وأكد هويته الوطنية من جديد ، إلا أن المهجرين ظلوا متمسكين بهويتهم ولم ينسوا ابداً كونهم لاجئين ، وهذا ما ميزهم عن غيرهم من لاجئي العالم ، وتمسكهم بموطن لجوئهم الأصلي.[83]

وبناء عليه ، فقد ظل المهجرون متمسكين بعاداتهم وتقاليدهم الإجتماعية الموروثة . أما عادات وتقاليد أهالي رام الله التي ورثوها عن أب واحد ، فقد شكلت جزءا من حياة السكان على مدى أعوام طويلة ، مثل الصدق والصراحة والنزاهة وحب المساعدة ، ومشاركة الناس في الأفراح , والأتراح , واغاثة الملهوف . وهذا ما ظهر أيام النكبة ، فقد هب أهالي رام الله إلى نجدة المنكوبين وقدموا لهم يد المساعدة ، وبما أن بلدهم بلد زراعي ، فقد ظل التعاون بينهم سائداً في مواسم الزراعة وجني المحصول .

وكان أهم مظهر من المظاهر الإجتماعية في رام الله سابقا هو وجود المضافة ، وعند نزول الغريب أو المسافر فيها ، كانوا يقدمون له العون والمأكل والمشرب وحتى النقود

أما الأعياد فلم تكن رام الله تعرف عيد الميلاد لأنه تقليد غربي أدخله المبشرون الغربيون إليهم ، ونظرا لزيادة الطوائف المسيحية قررت البلدية عام 1953م جعل عيد الميلاد الغربي ، وعيد الفصح أعياداً لجميع أهالي رام الله[84] .

عند اختلاط سكان رام الله بغيرهم من المهجرين تدريجيا ، فمن المتوقع أن يتأثر المهاجر بالمكان الذي هاجر إليه ، ويغيّر من عاداته وتقاليده . إلا أن المهجرين نجحوا في طبع سلوكيات جديدة , تمثلت في تغير بعض العادات

الإجتماعية بين سكان رام الله ، نظرا لكون معظم المهجرين الذين هجرّوا اليها من الساحل الفلسطيني ، حيث امتازوا بعلاقات مدنية متطورة التي سرعان ما انتقلت إلى رام الله مباشرة ، وإن كثرة عدد المهجرين أثر على نمط السلوك والثقافة والحضارة والإقتصاد ، لأن كل مجموعة من المهجّرين , تميزت بميزاتها وسلوكها الإجتماعي الخاص بها , والتي مازالت موجودة وبارزة في رام الله حتى اليوم . حيث من الصعب جداً تحديد نمط سلوكي إجتماعي عام يسود المدينة ، أو معايير اجتماعية واحدة , تحدد نمط تفكير سكانها . عكس مدينة الخليل ونابلس مثلا , اللتين حافظتا على عاداتهما وسلوكهما ومعايرهما الاجتماعية . إلا أن ما يميز رام الله عن باقي المدن الفلسطينية , هو عدم وجود معايير إجتماعية عامة , تحكم سلوك الأفراد , وأن الرقابة الإجتماعية على سلوك الفرد فيها ضعيفة . ويعود السبب إلى اختلاف أصل سكان رام الله , وأن علاقة القرابة أو النسب , هي علاقة ضعيفة[85]. وهذا يدل أيضا أن العلاقات فيما بينهم تقوم على أساس المصلحة ، لا على العائلة أو القرابة[86] .

ظهرت بعض العلاقات الإجتماعية على صعيد الأسرة , وليس الحامولة تمثلت , بوجود مشروع إقتصادي واحد للأسرة ، مثل كسارة الطريفي وشركات درّس . وهذا يرتب عليهم السكن في العمارة نفسها . في المقابل , وجد في رام الله التحتا , أن هناك امتدادا عائليا ، وأن الرقابة الإجتماعية في

الحي على سلوك الأفراد هي رقابة قوية وكبيرة ، وأن مفهوم الحارة وجد على أحياء كثيرة في رام الله التحتا ، والأكثر وجودا في الحارات الفقيرة ، حيث التعاون , والتكاتف بين الحارات يبدو واضحا أكثر من حارات المصيون , التي تعد غنية . لذا توجد أحيانا أنماطًا اجتماعية متناقضة في السلوك الإجتماعي بين حارة وأخرى ، إذا أخذت العلاقة بين الشاب والفتاة مقياسا , وعلاقة الأب بابنه بعد سن الزواج ، فنجدها أكثر بروزا وانفتاحا في الحارات الفوقا عنها الحارات التحتا[87] .

من ناحية أخرى , يلاحظ التباين في لهجة أهالي رام الله الأصليين , عنها من لهجات المهجّرين ، والتي تعد لهجة ريفية الأصل ، بينما تعد لهجة اللاجئين هي لهجة مدينة ، وأنه مع الزمن تأثر قاطني رام الله بلهجة المهجّرين ، نظرا لقدومهم من مدن ساحلية مختلفة ، وأن الوافدين الى رام الله من نابلس والخليل كمهاجرين مثلا ، وجدوا في رام الله هذه اللهجة المدنية فتكلموها ولكن كل منهما بلهجته، وبلسان قومه مثل لهجات الخليل وغيرها[88] .

على صعيد آخر , فقد تأثر أهالي رام الله بلباس المهجرين , فتشير صور أهالي رام الله- قبل النكبة إلى شكل لباسهم المميز ,إذا ما قورن باللباس بعد النكبة أو اليوم[89] . فالسروال , والقميص , والمداس، هوالميزة الظاهرة في هذه الصور. ولم

يكن هناك أي لباس ديني أوشرعي , إلا لباس رجال الدين المسيحيين , وهـو الأسود الحالك . أما اللباس المميز لهم بعد النكبة ، واختلاطهم مـع المهجريـن فقد تغير كلياً حسب عادات المهجريـن فـي اللبـاس ، للرجـال والنسـاء . هـذا بالإضافة إلى اللباس المستورد من أمريكيا , عن طريق الـذهاب والإيـاب مـن رام الله إلى أمريكا وبالعكس . فكان الطربوش والبرنيطة والجاكيت والبنطال ، هواللباس الذي أصبح سائداً بين أهالي رام الله بشكل عام . وقد تأثر أهالي رام الله أيضا بعادات وتقاليد الأمريكان والبلاد الـتي هـاجروا إليهـا ، ولا سـيما بعد زواجهم بالأجنبيات واندماجهم في المجتمع الأمريكي[90].

لذا يتضح أن هناك عاملين اثنين قد أثرا في لباس أهالي رام الله ،

وهما : اختلاطهم بالأعداد الكبيرة من المهجرين . واختلاط أهالي رام الله في بلاد المهجر , بالشعوب الأخرى في الأمريكيتين . وبعد مجيء المهجّرين من المسلمين أيضا عرفت رام الله اللباس الشرعي الإسلامي للنساء فقد تجد أنماطا مختلفة من اللباس بين الرجال والنساء في رام الله ، وأصبح المهجرون يشكلون حوالي ثلثي سكانها[91] ، لأن معدل نمو السكان في رام الله آخذ بالازدياد بعد أن شعر المهجرون بنوع من الاستقرار . وهجرة بعض اللاجئين أيضا من القرى إلى رام الله لاحقا . لأن القرى لم تعد تكفي حاجات السكان أصلا ، فكيف بها وأن تستقطب سكانا آخرين ؟. بالإضافة إلى وجود

فرص عمل لبعض المهاجرين اليها . فقد وصلت نسبة المهاجرين إليها كهجرة داخلية حوالي 5.3 % من شتى الريف والمدن الفلسطينية الأخرى [92] .

وفي مقابلة مع محمد صافي ، أكد هو الآخر أنه هاجر بعد بضع سنوات إلى رام الله من مخيم ديرعمار ، واستقر في رام الله لاحقا . ولاعتقاده أن القرية لم تعد تسد احتيجاتهم ، وأن عمل والده كان في الكسارات التي كانت ملكا له ، وأن هذه المهنة -كما يقول- تعود عليهم بالذهب ، فيجب أن يهاجر إلى رام الله , ويحقق ما يتمنى [93] .

أثر المهجرين على الوضع الإقتصادي في رام الله بعد عام 1948

تشكل الحركة الإقتصادية شريان الحياة وعصبها الدائم ، فنمو الحركات الإقتصادية بأنواعها في دولة أو مدينة ما . إنما هو مؤشر إيجابي لرقي ورفاهية السكان وقلة الفقر والعوز ، وإنه كلما زادت حركة الإنسان في المجالات الإقتصادية ، كان لها الأثر الإيجابي والفعال في زيادة الحركات الأخرى ، كالتجارة والزراعة والصناعة .

فرام الله مثلا ، والتي تعد إحدى المدن الفلسطينية الهامة ، نظرا لموقعها المتوسط في الضفة الغربية ومحطة وجود مراكز ومؤسسات السلطة

الفلسطينية اليوم ، المتمثلة بالوزارات لهو دليل قاطع على أهمية هذه المدينـة وعراقتها منذ القدم حتى اليوم .

بالإضافة إلى امتهان سكان رام الله قديما بعض المهن الصغيرة التقليدية ، مثل الفخار ونسيج السلال وعمل النبيذ وتصليح الأحذية ، وصناعتها من جلد البقر[94]. ظهرت بعض الصناعات والأعمال الأخرى التي قدمت مع المهجرين والتي ستوضح لاحقا .

عرف السكان أيضا أنواعا محدودة من التجارة ، مثل التجارة بزيت الزيتون , والقطين , والعنب التي كانت تباع للأديرة لاعتبارات دينية ، حتى وصل بعض التجار فيما عرفوا (بالخطار) إلى نابلس , والناصرة , وجنين . وكان البعض قد وصل إلى حلب , وجلب معه الليرات الذهبية ، أما المحال التجارية فقد كانت مع بدايات القرن العشرين حوالي 40 محلا تجاري فقط , موزعة كالآتي : 8 محلات بقالة ، و 8 محلات للسكفنة ، و 12 محلاً للحياكة ، وصائغ ذهب واحد ، و 6 محلات للجزارة[95] ومخزن واحد للحبوب ، ومحل لصياغة الفضة[96] ، وثلاث معاصر لزيت الزيتون والتي ما زال بعضها حتى اليوم .

أخذ وجه رام الله الاقتصادي يتغير بوجود آلاف المهجرين إليها بعد عام 1948م ، وقد أثر هؤلاء المهجرون في الوضع الإقتصادي بشكل كبير ، بحيث وظف الكثير منهم المهن الوافدة التي لم تعرفها رام الله ، وتوفر بعض

الأموال مع فئة من المهجرين ، فأخذ رأس المال الوافد من المهجرين مع الأراضي الزراعية يقطف ثماره ، فكان الأثر الأول ، هو استفادة أهالي رام الله أنفسهم من هذا الوضع الجديد , الذي غير ملامح بلدتهم ، ففتح الكثير منهم محالا تجارية كثيرة ، ونشط العمران , واستأجر المهجرون محالا تجارية تليق بمهنهم . فقد ذكر أحد الأشخاص الذين شملهم البحث ، أنه فتح محلا لبيع (الخردة) نظرًا لكونه نجارًا ، وأن محله موجود حتى اليوم بالرغم من كبر سنه الذي يقارب ألـ 100 سنة ، وأن ابنه البكر قد حل محله[97]. وقد تحولت بعض الملكيات من أهالي رام الله إلى المهجرين ، مثل الأراضي وعقارات وبالتالي أصبح بمقدور المهجرين التحكم باقتصاد رام الله ، والقلة القليلة الباقية من سكانها التي لم تهاجر إلى الخارج[98].

في الخمسينات من القرن العشرين ، بدأ الانفتاح بين أهالي رام الله والمهجّرين على أرضية القبول بالآخر، الأمر الذي شجع الكثير من الناس القدوم إليها من مختلف مدن وقرى الضفة الغربية ، بسبب عزوف الجيل الجديد من أبناء رام الله , عن العمل الزراعي , والعناية بالكروم التي كانت المصدر الأول لرزقهم , ففتح آفاقا للعمل لهؤلاء الوافدين اليها , والذي ساعد أيضا في بناء إقتصاد رام الله , والتنوع في النشاطات التجارية , والإقتصادية , وازدياد عددها[99] . فبعد أن كان عدد المحال التجارية لا يتعدى ال 40 محلا في بدايات القرن العشرين (1904) ، فقد ارتفع حتى عام 1953م إلى 195

محلا تجاريا ، وفي سجلات المالية في رام الله , تبين أن عدد المحال التجارية قد ارتفع إلى 615 محلا حتى عام 1970، وهذا مؤشرعلى أن المحال التجارية آخده بالازدياد[100].

عمل المهجرون برأس المال الوافد من أمريكا ، بعد قصة النجاح التي حققها أبناؤها في المهجر وخصوصاً الأوائل منهم ، الذين كوّنوا وبنوا أنفسهم اقتصاديا ، بعدما كانوا تجار شنطة (كشة) ، وقد شجعت الحكومة الأمريكية هذا النوع من التجارة , لدعم إقتصادها , وخدمة المجتمع المهمش إجتماعيا ، والنائي عن مراكز السكن في المدن ، وأن أبناء رام الله , أمثال عزيز شاهين كانوا من أوائل الذين هاجروا إلى أمريكا ، وعمل بائعا متجولا تحوّل إلى رجل أعمال ، وبعدها أصبح ذا ثروة طائلة ، امتلك البنايات وحقق حلمه الذي كان يراوده في خدمة أبناء رام الله[101] . وقد عمل الكثير من أمثاله الذين شجعتهم الحكومة الأمريكية بتسويق بضاعتهم ، وكان الدخل الناتج منها كبيرا جدا لدى التاجر ، بالمقارنة مع الأجور في وطنه فلسطين ، وكان يكسب التاجر في العادة من (5-7) دولار في اليوم الواحد، ومنهم من كان يجني عشرين دولارا في اليوم .

من جنى هذه الأرباح غادر أمريكا واتجه إلى مسقط رأسه رام الله ، وفي نيته العودة ثانية , بعد أن عمل على تطوير نفسه ، فاشترى الأراضي وبنى البنايات ، وقد وصل هذا النوع من التجار إلى المستوى الأمريكي حتى

وصل ثرائه إلى ألف دولار شهريا ، وأصبحوا من ملاكي الأراضي وأصحاب رؤوس الأموال الكبيرة[102] .

ولكن الثمن الذي دفعه هؤلاء الأثرياء هو عائلاتهم وأولادهم ، فمنهم من ترك الزوجة والأولاد في رام الله[103] ، ولم يستطع التأقلم في العيش ثانية فيها ، لاختلاف الواقع الحياتي بين أمريكا ورام الله ، وتطور الأحوال المعيشية هناك مقارنة مع رام الله . اضطر البعض إلى تطليق زوجاتهم , أو أجبرت بعض النساء على طلب الطلاق من زوجها الكائن في أمريكا[104]. ساعد زواج المهجرين بالمطلقات إلى انتقال بعض العقارات إلى أيدي المهجرين , ولا سيما المحال التجارية , والبيوت، فتشير سجلات الطلاق الموجودة في محكمة رام الله الشرعية ، وسجلات حجج الإرث , إلى الكثير من عقود الزواج التي تثبت ذلك ، وخير دليل عليه هو عقود الزواج رقم 76090 ورقم 76156 ورقم 83906 [105] , وكذلك حصر الإرث لدى أبناء المهجرين المتوفين .

وهناك من الذين رجعوا إلى رام الله بعد مدة طويلة من الزمن , وجمع أموالا طائلة وظّفها في رام الله ، وأن الكثير من الأولاد والأطفال الذين لم يروا رام الله مطلقا , ورجعوا مع آبائهم ، وقد ذهلوا من منظر رام الله عندما شاهدوها ، أمثال نانسي رزق المولودة في ميتشغان ولم تر رام الله أبداً ، وتقول : إنها فضلت خرب رام الله وبيوتها القديمة على ناطحات

السحاب في أمريكا . ويضيف كذلك جورج طوطح :"أنني غادرت رام الله وعمري 14 عاماً ولم أعد إليها أبداً ،إلا أنني صممت أن أرجع اليها بالرغم من وجود جميع اولادي عندي في أمريكا من الزوجة الأمريكية" أما داود شامية الذي قال : منذ أكثر من أربعة عقود زرت رام الله مرّة واحدة وذهلت من العمران والتطور الذي حل ببلدي[106] .

توطدت علاقة المهاجرين إلى أمريكا مع أبنائهم وأهلهم في رام الله ،

وكان هناك الكثير من العائدات التي تصل إلى البلدية , وقد وظفت هذه الأموال في تعبيد الطرق , وعمل الأسوار, وشراء أراض للمقبرة وغيرها .

وكانت البلدية تقيم حفلا لاسقبال القادمين من أبنائها من بلاد المهجر ، وأن رئيس البلدية كان يحدد احتيجات البلدية مسبقا . وكان سرعان ما يلقى الدعم المطلوب[107] . وعند الرجوع إلى سجلات بلدية رام الله , تبين أنه وُجد الكثير من الكلمات المكتوبة في سجلات بلدية رام الله , التي تؤكد ما كان يطلب من أبناء رام الله[108]. وأحيانا الدعم للمواطنين مباشرة تحت بند التكافل الإجتماعي .

ومن مظاهر التعاون المطلق بين أهالي رام الله في المهجر والبلدية ،

أنه تم العثور في سجلات بلدية رام الله على الكثير من الحولات المالية من المهاجرين في أمريكا إلى البلدية , لتسديد ما عليهم من ضرائب مستحقة ،

بعد أن تبلغه البلدية بالضرائب المتراكمة عليه[109] . وكان كل ما يجمع من أموال لصالح البلدية تستفيد منه رام الله , لانتعاش اقتصادها ، وبالفعل ظهرت ملامح جديدة , وبشكل متجدد لوجه رام الله[110]. ومن آثار النمو الاقتصادي عملت البلدية على توسيع حدودها , وسيطرت على العمل التجاري بشكل منظم ومرخص , واختفت الفوضى والتعدي على أملاك البلدية[111]. وهناك العديد من الخرائط لرام الله التي تبين توسيع حدودها من عام 1949-1967م ، وقد كانت البلدية تحدد كل مجموعة سنوات , مدى التوسع لحدودها ، لاستفادة أكبر عدد ممكن من المواطنين[112]. سعى المهجرون إلى الإستفادة أيضا من هذه العائدات , التي فتحت لهم آفاق عمل أخرى , وذلك بافتتاح المحال التجارية الجديدة وتنوّع المهن بتنوع الشهادات العلمية التي حملها المهجرون مثل[113] الميكانيكي , والمصور , والمنجد للسيارات , والحلاق , والحداد , والصيدلي , ومصلح الساعات , والسائق

إلا أن بلدية رام الله سجلت كل المهن الموجودة في المدينة بأسماء اصحابها , ونشاطهم في سجل خاص يسمى رخص المهن , وعند الرجوع لهذه السجلات , اتضح الكم الهائل من المهن التي صاحبت قدوم المهجرين إلى رام الله . وإن المحل التجاري الجديد يعد الأول من نوعه في المهنة , فقد سجل فيه ، كوّى , ومحال باسم تصليح أجسام سيارات , و فرّان , ومخبز , ومطبعة , وخياط , و مصور[114] . وقد تنمو وتزداد المحال التجارية , وتتنوع

دائما , فوجد عددها حتى نهاية 1971م , 842 محلا تجاريا مرخصاً . وهناك سجلات متتابعة تبعا لمجموعة أعوام لاحقة . وقد أكد أمين أبو السعود في مقابلة معه , ان هذا التنظيم راجع للرقابة الأردنية على الحركة التجارية في رام الله[115] ، ومخالفة الذين لا يتبعون القانون المعلن للتجارة . "

لحق المهجّرون في رام الله , بإخوانهم أهالي رام الله إلى أمريكا ، بعد قصة النجاح التي حققوها هناك بالهجرة مجازفة , وتحقيق النجاح الذي عاد اليهم بالنفع ، وعادوا بالعائدات الكبيرة ، فكان يهاجر من الأسرة المكونة من خمسة أبناء مثلا ، ولد واحد الذي رغّب باقي إخوته والأصدقاء في اللحاق به[116] . إلا أن الطلاب هم الأكثر فئة التحقوا بإخوانهم أو آبائهم ، وقد التحق هؤلاء الطلاب بالمصانع أولا قبل التحاقهم بالجامعات ، الأمر الذي جعلهم مهنيين جيدين وفنين مهرة[117] , واستفادوا من هذه الخبرة مستقبلا . وكان مما دعا بالمهجرين أن يلتحقوا بأهالي رام الله إلى أمريكا ، هو سهولة التنقل عبر الملاحة البحرية ، وإيجاد ركاب جدد من قبل المروجين للملاحة البحرية ، ثم الربح الهائل الذي جناه من سبقهم وسمعوا عنه , والذي رأوه موظفا في رام الله . حتى أصبحت الهجرة هي العرف السائد , بالرغم من الأهانات والسخرية التي واجهها المهاجرون في بلاد الغربة , والذين وصفوهم بداية بالغرباء[118] . وهناك من غيّر توجهه إلى أوروبا أثناء الحكم الأردني ، نظرا لوجود أقارب لهم أيام الإنتداب البريطاني ، وخصوصا في

بريطانيا ، ولعمل الكثير من أبناء رام الله في الخدمة المدنية مع سلطات الإنتداب . وهناك من توجّه الى ألمانيا لإتفاق أردني ألماني للتخفيف من البطالة ، وضمن برنامج إعادة البناء والإعمار, وقد أعطوا الجنسية الأردنية أولا كشرط لهجرتهم الى المانيا[119] .

وهناك دوافع كثيرة شجعت الهجرة من رام الله إلى أمريكا منها :

عدم توفر موارد للرزق , بسبب الأعداد الهائلة من المهجرين[120] , الذين وصلوا إلى رام الله بسبب النكبة , والذين بقدومهم تدهورت الحياة الإقتصادية , وارتفعت الأسعار , وتدهورت الأجور , وقل العمل . كذلك انقطاع الكثير من أبناء رام الله عن وظائفهم أيام الانتداب الإنجليزي , والذي يقدرعددهم بـ 200 موظف من ذوي الدخل المحدود ، ثم اقفال بنك الأمة فيها , والذي كان فيه ودائع بمبالغ كبيرة , مما أدى إلى خسائر مالية ، بالإضافة إلى خسارتهم في تربية الخنازير ، إذ كان السكان يربونها للتجارة ، والتي كانت تعد تجارة رابحة , إلا أنه بعد عام 1948م , وتغير الجو السياسي أدى إلى موت وضياع الكثير من هذه المزارع , التي رصد فيها المواطنون المبالغ الطائلة[121] .

وقد تزايد عدد المهاجرين إلى أمريكا ، إذ كان عدد المهاجرين حتى عام 1946م حوالي 1500 شخص من أصل 5000 نسمة , وقد ارتفع عام 1952-1953م إلى 2580 نسمة ، ووصل عام 1960م إلى 4000 نسمة , من أصل مجموع سكان رام الله[122] .

اتضح أن هجرة ابناء رام الله , قد فتح المجال لتغلغل المهجرين مكانهم في النشاطات الإقتصادية ، وأدت الهجـرة أيضـا إلـى تـرك الأراضـي الزراعيـة بـدون اسـتغلال ، وقـد تـم تأجيرهـا إلـى أنـاس لا يملكونهـا لتصـبح ملكـا للمستأجر[123].

أصبح واضحا , أنه بمقدور المهجرين في رام الله , التملك للأراضـي والمحال التجارية , وحتى الاستيلاء على بعضـها نهائيـا دون دفـع الأجـرة , أو ثمن الأرض[124] . وذلك لانقراض أصحابها . ولم يعد هناك من يسأل عن هـذه العقارات . وهناك الكثير من مساحات الأراضي , والبيوت الـتي أخـذت عنـوة مـن قبـل المهجريـن أثنـاء الحـرب وبعـدها ، فالقسـم الأكـبر مـن مسـاحات الأراضي , كان تابعا للبلدية التي بدورها سمحت للمهجرين ببنـاء (السـكايف) لإيوائهم فيها حر الشمس , وبرودة الليل . إلا ان هذه الأبنية البسيطة سـرعان ما تحولت إلى أراضي ملك ، وما تزال حتى الآن بأيدي المهجّرين .

وهناك قسم من الأراضي والبيوت التي آوت المهجرين في بداية الأمر ، قد ظلت معهم ، ولم يظل الأمر على هذا ، بل تعدى ذلك إلى الزحف لأراضي الآخرين , من سكان رام الله مغتنمين فرصتين : الأولى ، وضعهم كمهجرين يستحقون الدعم من أبناء جلدتهم ، والثانية ، غياب أصحاب هذه الملكيات كونهم في بلاد المهجر . ومع الوقت تم وضع اليد على جزء من الأراضي ببطء ، وبشكل غير ملحوظ ولا يثير القلق . وهذ ما أكدته إحدى المعمرات

التي هاجر زوجها وأبناؤها ولم يرجعوا منذ عشرات السنين ، وتقول : "إنني لم أعرف أبدا أراضينا : لا حدودها ولا جيراننا إلا القطعة التي أسكن فيها ، ومع هذا فقد أقدم المهجرون وخاصة الكساونة الذين يحفرون بجانب بيتي ويريدون أن يأخذوا جزءا آخر من الأراضي عنوة " . وإن الشكوى التي قدمتها للبلدية بهذا الخصوص باءت بالفشل ، ولم تعرها آذانا صاغية ، بحجة أن البلدية لم تستطع تحصيل حقها سابقا من المهجرين[125] ، وأن أولادها متعاطفين مع المهجرين ، نظرا للأموال التي بين أيديهم ، وعدم تفكيرهم بالعودة , أو السكن من جديد في رام الله .

لذلك , فقد استفاد المهجرون في بداية النكبة من أهالي رام الله , وبالأخص من الوضع الإجتماعي الذي كان سائدا هناك , متمثلا في هجرة أبنائها إلى الأمريكيتين , الذي ترك فراغا كبيرا في خدمة الأراضي والمحاصيل الزراعية , ورعي الماشية . هذا الأمر جعل المهجر أن يتشبث في الأراضي الشاسعة التي خدمها , والتي أصبح جزءا منها ملكا له .

الخاتمة

يستدل مما سبق ، أن رام الله كانت محط أنظار المهجرين عام 1948 ، حيث وطأ ترابها من المهجرين في بداية الأمر أكثر من عشرة آلاف مهجر، نظرا لتوسطها بين مدن فلسطين ، وكونها الأقرب إلى مناطق المدن الساحلية كمدينة اللد ويافا والرملة ، والقرى المحيطة بهذه المدن ، بلإضافة إلى كونها المدينة التي تضم أغلبية ساحقة من المسيحيين .

وصول الأعداد الكبيرة من المهجرين إلى رام الله ، غير من تركيبتها الإجتماعية ، ووضعها الإقتصادي الذي لم تحسب له هذه المدينة أي حساب . فالغلاء والبؤس والحرمان والبطالة والضياع ، كانت من أبرز السمات التي طبعت على المهجرين ، إلا أن تكاتف أهالي رام الله مع خدمات البلدية والصليب الأحمر للمهجرين قد خفف من آلام النكبة . وقد استفاد المهجرون من هذا الوضع المأساوي في توفير مكان لإيوئهم ، الذي أصبح ملكا لهم بعد سنوات ، مع تفاعلهم مع المجتمع الجديد , الذي أصبح عنوانا لهم في المستقبل ، واندمجوا فيه اندماجا تاما . وأن الواقف على الأحداث اليوم يصعب عليه التمييز بين المواطن والمهاجر . وأن اللافت للنظر هو الزواج الذي تم بين المهجرين وسكان رام الله بنوعيهم ، المسلمين والمسيحيين ، حيث أنك ترى قسائم الزواج بين المسلم والمسيحي , والمسلم مع المسلم ,

والمسيحيي مع المسيحيي على السواء ، ولم يمانع أي منهم مصاهرة الآخر ، مما يدل على ذوبان الفوارق الإجتماعية ، من عائلية وطائفية وطبقية ، وانصهار المجتمع بأكمله .

من ناحية أخرى , لم يكن هناك أثر واضح تركه الحكم الأردني الذي امتد من 1948-1967 على المهجرين لتحسين أحوالهم الإقتصادية أو الإجتماعية ، بل أخفى سياسته الرامية إلى ضياع وتشتت الهوية الفلسطينية , عبر فتح آفاق الهجرة الى اوروبا وأمريكا ، بل وهجرة أصحاب رؤوس الأموال إلى الضفة الشرقية ، ليجدوا الدعم المطلق لهم في افتتاح الورش الصناعية وغيرها . الأموال التي كانت تفد من بلاد المهجر عوضت رام الله عن تحويل النشاطات الإقتصادية إلى شرق الأردن ، واقتصر دعم الأردن إلى البلدية بتوفير الدعم اللوجستي والقليل من الميزانية التي لا تكاد أن تغطي أجور الموظفين .

هوامش الفصل الثاني

1- إبن منظور. لسان العرب . المجلد السادس . ص 308-309 .

2-" الهجرة الطوعية والتهجير القسري" . عدد 18 ،200 .

3- أحمد يونس ." "الهجرة إلى فلسطين والتهجير منها ". مجلة صامد الإقتصادي ،مجلد 82 ، عدد 12 ، دار الكرمل للتوزيع ،(1990: 63-88) . ص 64 .

4- هاني مقبول . الأوضاع الديموغرافية في الأرض المحتلة . ط 1 ،(القدس : جمعية الدراسات العربية ، 1987) . ص 215 .

5– مجدي المالكي , وياسر الشلبي . الهجرة الداخلية والعائدة في الضفة الغربية وقطاع غزة . (القدس ورام الله : معهد أبحاث السياسات الإقتصادية (ماس) ،2000). ص 1-3.

6– ناجح جرار . اللاجؤون الفلسطينيون . ط 1 , (القدس :الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية) . 1994 . ص 14 .

7- عبد الوهاب الكيالي . موسوعة السياسة . ط 1 ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1994) . ص 67 .

8- دائرة الإحصاءات العامة .الهجرة الداخلية والعائدة والقوى البشرية عام 1986 . ط 1 ، (عمان : دائرة الاحصاءات العامة ، 1989) . ص رقم ط .

9- وليم فهمي . الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة. (القاهرة : الهيئة المصرية العامة ، 1974) . ص 9 .

10- مركز زايد للتسويق . الهجرة اليهودية إلى فلسطين . مركز زايد للتسويق : (دولة الإمارات العربية ،2001) . ص 9 .

11- نفسه .ص 9 .

12- الكيالي . موسوعة السياسة . ص 70 .

13- حسين شريف . فلسطين من الحرب التوسعية لتحقيق إسرائيل الكبرى حتى انتفاضة الأقصى (1948-2002) . (الهيئة المصرية العامة ، ج 4 ، 2003) . ص 47

14- الموسوعة الفلسطينية -القسم الثاني- الدراسات الخاصة . الطبعة الاولى .(بيروت , 1990) . ص 290

15- نفسه . 237

16- عبد الوهاب الكيالي . تاريخ فلسطين الحديث . ط 1 .(بيروت : المؤسسة العربية للنشر , 1990.). ص 244

17- شريف . فلسطين من الحرب التوسعية . ص 47

18- فيصل عودة الرفوع . الهجرة اليهودية والمشروع الصهيوني . ط 1 ، (منشورات المجلس القومي للثقافة العربية ،1991). ص 33 .

19- إبن منظور . لسان العرب . ج 5 ، ص 231 .

20- حسام محمد سباط . اللجوء السياسي في الإسلام . ط 1 ، (بيروت : دار البيارق ، 1997) . ص 7.

21- نفسه . ص 8

22- سورة التوبة : آية رقم " 9 " .

23 - سباط . ص 11 .

24- نفسه . ص 16 .

25-Mautice Davie .Word Immigration: The Macmillan Company ,NewYork,p22 :

26- Mautice Davie . Word…. . p1

27- الغرباء : هم لاجئون بحكم وصفهم الفعلي ، لكن لا يوجد خوفا حقيقيا من أن يتم اضطهادهم ، ولكن لا يستطيعون العودة إلى بلدهم الأصلي ، بسبب ظروف سياسية تمر بها بلدهم . وهؤلاء قد حصلوا على إقامة مؤقتة في مكان لجوئهم . أنظر ناجح جرار . ص 11

28- وليد سالم . حق العودة / البدائل الفلسطينية . ط 1 ، (القدس : بانوراما للطباعة والنشر 1990). ص 41 .

29- أنظر الموقع الإلكتروني .www.unfo@shaml. org

30- سمير أيوب . البناء الطبقي للفلسطنين . ط 1 ، (بيروت : صامد للنشر والتوزيع ، 1984). ص 148 .

31- وليد سالم . حق العودة . ص 34 .

32 Fayez Sayegh . The Palestine Refugees . Foreworded By William Hoking ، Washington : Amara Press ، 1952 .p 21

33- سليم تماري . مستقبل اللاجئين الفلسطينين . (بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ،

. 25-24 ص . (1996

34- فالح الطويل . اللاجئون الفلسطينيون قضية تنتظر حلا . ط 1 ، (إربد : إبن خلدون ، 1996) .
ص 39-40. 35-

الكونت برنادوت : هو من أفراد الأسر السويدية الملكية ، عمل كوسيط لمنظمة الأمم المتحدة ، وكرس نفسه أثناء الحرب العالمية الثانية لإنقاذ اللاجئين بما فيهم اللاجئين اليهود . تم اغتياله في القدس من قبل ثلاثة رجال يلبسون البزات العسكرية الإسرائيلية بتاريخ 17/9/1948 . لمزيد من المعلومات ، انظر مذكرات غلوب باشا ص 285 .

36- جرار . اللاجئون الفلسطينيون .. ص 3 . 37-

عارف العارف . النكبة 1947- 1952م . (صيدا المكتبة العربية للطباعة والنشر . 1956م). ص 612-614 . 38-

أحمد علي الخطيب . مقابلة بتاريخ 12، 4، 2007. 39-

بني مورس . طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين / وثيقة إسرائيلية . ترجمة , دار الجليل , (عمان : دار الجليل للدراسات . 1993) . ص 285 .

40- أنور بدر . " "اللاجئون الفلسطينيون في المنظور الإسرائيلي" رؤية , العدد 23,(2003 :43-60). ص 32 41- جرار . اللاجئون الفلسطينيون . ص 150 . 42- عبد الرؤوف الضبع . التغير الإجتماعي . الإسكندرية : (المكتبة العصرية ، 2001) . ص 21.

43- محمد الدقس . التغير الإجتماعي بين النظرية والتطبيق . ط 1 ، (عمان : دار مجدلاوي للنشر ، 1987) . ص 15 .

44- إبراهيم حياتي وآخرون . العرب في أمريكا – صراع الغربة والإندماج . (بيروت : مركز دراسات الوحدة , 2003) . ص 15.

45- نفسه . ص 26 . 46- أنظر

47- سجلات زواج محكمة رام الله الشرعية . سجل عام 1956-1957.

سلمان ميخائيل ." "المهاجرون العرب إلى الولايات المتحدة " المستقبل العربي مجلد 20, عدد 230, (1988: 28-60) . ص 29 .

48- حياتي وآخرون . العرب في أمريكا . ص 33 .

49- محمود ميعاري . "حول الإندماج الإجتماعي في فلسطين" . مجلة دراسات عربية ، عدد 5 و6 ، (1999\2000 :61-76) . ص 67-68.

50- ساك موشيه و افرايل ليشيم . ""الإنتلجنتسيا الروسية بين الإنعزال والإندماج". بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية والقدس : مؤسسة الدراسات المقدسية ، ع 38 ، (1999: 108-119). ص 111.

51- نفسه . ص 113 .

52- نفسه . ص 114 .

53-

محمد الجوهر . ""العرب في ألمانيا السمات العامة والإندماج ". مجلة المستقبل العربي ، مجلد 28 ، ع 322، (2005 :89-117). ص 92 .

54- نفسه . ص 93 .

55- وليد الشيخ ." "أوروبا وقضايا الهجرة ، معضلة الأمن والإندماج" . مجلة السياسة الدولية ، ع 165 ،(2006 :68-75). ص 68 .

56- ناصر حامد ." "المهاجرون في أوروبا بين مكافحة الإرهاب ومشكلة الإندماج" . مجلة السياسة الدولية ، مجلد 42 ، ع 163 ,(2006 :166-149). ص 195 .

57- محمود ميعاري . مصدر سبق ذكره . ص 61 .

58- نفسه . ص 62-67 .

59- محمد عودة . "حالة اللجوء ودورها في تطوير الهوية الفلسطينية" . مجلة آفاق للتطوير الإبداعي ، مجلد 3 ، ع 9/10 ,(2000 :28-39). ص 124 .

60- محمد ميعاري . مصدر سبق ذكره . ص 66 .

61- نفسه . ص 75 .

62- شاهين . كشف النقاب . ص 18 . 63-

64- ياسين جابر . الضفة الغربية وقطاع غزة . ص 24 .

65- آمنة سعاد عقل . مقابلة بتاريخ 19، 12 ، 2007 .

66- صبري أبو حجر . موسوعة المدن الفلسطينة . ص 337 .

67- أبو ربا . رام عقل . مقابلة بتاريخ 19، 12، 2007 .

68- روز ماري صايغ . الله قديما . ص 39 .

الفلاحون الفلسطينيون من الإقتلاع الى الثورة . تقديم إبراهيم أبو لغد , ترجمة خالد عايد , ط 1 , (القدس : منشورات صلاح الدين , 1993) . . ص 159 .

69- أنظر سجلات محكمة رام الله الشرعية . سجل زواج رقم 50 .

70- انظر سجل الزواج التابع لكنسة دير اللاتين رقم 4 لعام 1984-1988 .

71- انظر سجلات محكمة رام الله الشرعية . سجل الزواج رقم 50-55 . حيث يظهر أسم عائلة الزوج في قسيمة الزواج .

72- نفس السجلات : حيث تجد مهنة الزوج مدونة في قسائم الزواج ، وهذا دليل على كثرة الجنود الذين سرحوا من الخدمة العسكرية بعد النكبة ، ورأوا أن الفرصة مناسبة للزواج ، وبالفعل فقد اغتنم الكثير من المهجرين وبالأخص هؤلاء الجنود وزوجوهم .

73- أحمد الخطيب . مقابلة بتاريخ 20، 4، 2007 .

74- أنظر سجل الزواج لعام 1949 وعام 1950 .

75- انظر سجل الطلاق رقم 10 .

76- حشمة شقرة . مقابلة بتاريخ 19، 12، 2007.

77- محمد نمر الخطيب . أحداث النكبة – نكبة فلسطين . ط 2 ، بيروت : دار الحياة ، 1967 . ص 36.

78- نفسه . ص 116 .

79- سعاد عقل . مقابلة بتاريخ 19، 12، 2007 .

80- أحمد الخطيب . مقابلة بتاريخ 20، 4، 2007 .

81- ندى حرز

الله . مقابلة بتاريخ 19، 12، 2007. 82- أنظر سجل

الزواج – سجل الأكاليل – التابع للبطريركية الأورشلمية للروم الكاثوليك لعام 1951 .

83- "أسباب هجرة أهالي بيت نبالا عام 1948" . مجلة العودة ، عدد 138 .2003 . ص 10.

84- الموسوعة الفلسطينية . المجلد الثاني . مصدر سبق ذكره ص 318 .

85- سليم تماري ونواديا الأنصاري . التغير الاجتماعي . ص 21.

86- رشيد ذيب طه . مقابلة أجراها معه محمد مصطفى في مدينة رام الله بتاريخ 20، 3، 2007 .

87- سليم تماري ونواديا الأنصاري . التغير الاجتماعي . ص 25 .

88- نفسه . ص 29 . 89- انظر

الملحق الذي يظهر فيه نمط اللباس لسكان رام الله سابقا . ملحق رقم 156

90- حياتي وآخرون . العرب في أمريكا . ص 29-30 .

91- أبو ريا . رام الله قديما . ص 160 . 92-

ميرون بنفيتسي . الضفة الغربية وقطاع غزة . بيانات وحقائق أساسية . ترجمة ياسين جابر ,

مراجعة وتقديم خالد عابدين , ط 1 , (عمان : دار الشروق , 1987) . 31 .

93 - محمد طه صافي . مقابلة بتاريخ 24، 4، 2007 .

94- أبو ريا . رام الله قديما . ص 109 . 95-

كان اللحم يوزع مباشرة على المشترين بعد ذبحه مباشرة ، نظرا لعدم توفر أماكن لحفظه.

96- النيروز . رام الله . ص 280 . 97-

رشيد ذيب طه . مقابة بتاريخ 20، 3، 2007 . 98-. رام

الله . ص 225. 99- أنظر سجلات

مالية رام الله , "سجل رخص المهن "رقم 1" وهو السجل الوحيد 100- نفس

. السجل , بعنوان المحال التجارية وأصحابها

عزيز شاهين في في ذكرى ميلاده المئة" . مجلة هذه رام الله . عدد 5 ،(1992 :27-31)." -101

ص 27.

102- جواد الحمد وعبد الفتاح الراشدان . مستقبل اللاجئين الفلسطينيين . ص 404 .

103- أنظر سجلات طلاق محكمة رام الله الشرعية . سجل طلاق رقم 18 لعام 56-59 . ص 155.

104- نفس السجل . ص 7 .

105- انظر سجلات زواج محكمة رام الله الشرعية لعام 57-58 . وتشير أرقام أقسام الزواج هذه , أن أصحابها قد طلقوا زوجات بعضهم البعض بسبب السفر إلى أمريكا .

106-"مقتطفات من أحاديث رئيس وأعضاء الإتحاد الأمريكي لرام الله" . مجلة هذه رام الله . ع 3 ،(1993 :25-30). ص 27 .

107-" كلمة رئيس بلدية رام الله خليل موسى خليل في حفل استقبال العائدين من أبناء رام الله ". مجلة هذه رام الله ،ع 3 ،(45:1993-50). ص 46 .

108- انظر ملفات بلدية رام الله . ملف الإجتماعات .

109- أنظر ملفات بلدية رام الله . مراسلات

110- الدجاني . المدينتان التوأم . ص 393 .

111- أنظر ملفات بلدية رام الله . سجل رسوم الرخص .

112-انظر الملحق رقم (164) . الذي يوضح توسيع حدود البلدية على مدار خمسين عاما .

الفصل الثالث

أ-الإندماج الاجتماعي في رام الله وأثره على الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية .

1- المقدمة.

2- بدايات الاندماج.

3- مظاهر الاندماج الاقتصادي بين المهجرين والسكان المحليين في رام الله.

4- التحولات الإقتصادية في رام الله بعد النكبة .

5- التحولات الإجتماعية التي ظهرت في رام الله بعد النكبة.

6- خاتمة الفصل.

7- هوامش الفصل.

الفصل الثالث

الإندماج الإجتماعي في رام الله , وأثره على الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية

المقدمة

سيتم التعليق في هذا الفصل , على مدى اندماج المهجرين الفلسطينيين بمجتمع رام الله , الذي شهد موجات من الهجرات السابقة , وسرعة اندماج هؤلاء المهاجرين فيها , وكوّنوا مجتمعا واحدا يصعب الفصل بينه الآن . وأن الناظر إلى شجرة العائلة لأي فرد , يرى الأجيال السابقة المكونة لمجتمع رام الله , . ويستطيع أن يعرف البدايات لوجود أي أصل عائلة , مهما مرّ عليها من زمان . وأن الحالة الأقتصادية لرام الله , وتوسطها فلسطين , وقربها من القدس , ومرور الخط العام الواصل بين القدس ومدن الشمال الفلسطيني , والمدن الساحلية أيضا , لهي مؤشر في سكن واستقرار هؤلاء المهاجرين اليها , ونجاحهم في مشاركة السكان في النشاطات الإقتصادية . وبالتالي , أصبحوا يشكلون جزءا من السكان الأصليين , ويتماثلون في العادات والتقاليد والديانة.

قدوم نسبة كبيرة من المهجّرين إلى رام الله إثر نكبة عام 1948م , واختيارهم إياها مكانا للجوء ، لهو مؤشر واضح , على أن هناك مؤشرات

سابقة , تدل على العلاقة التي كانت قائمة بين أهالي رام الله , ومدن فلسطين المحتلة عام 1948م . إلا أن الفارق بين المهاجرين إلى رام الله سابقا , ولجوء المهجّرين اليها عام 1948 , تكمن في الأعداد التي قدمت من المهاجرين اليها قبل النكبة , بحيث كانت أعدادا قليلة , وقدمت بشكل متقطع , وعلى فترات استطاعت رام الله أن تستوعبهم في النشاطات الإقتصادية والتجارية , وبسهولة تامة . أما قدوم آلاف اليها دفعة واحدة , وبدون إرادتهم , ومع جميع أفراد العائلة . أدى إلى بروز العديد من المشاكل الإقتصادية , والإجتماعية , فتفشت البطالة , وفقدت المنتوجات الغذائية من الأسواق , وزاد من هجرة أبناء رام الله الى الخارج . إلا أنه مع الزمن , أصبح المهجّرون يشكلون جزءا كبيرا من سكان رام الله , بل انتقل النشاط التجاري والإقتصادي بأيديهم . والذي سرع بهذا الاندماج الإجتماعي بين المهجرين وسكان رام الله , أنها اعتبرت امتدادا عائليا , واجتماعيا للفلسطينيين . لأن العائلة هي الوحدة الإجتماعية الأساسية , التي تكون قادرة على مواجهة الظروف الإجتماعية والإقتصادية وقت الشدائد ، فالمهجّرون عند لجوئهم , لم يكونوا فئة اجتماعية واحدة من الناس ، بل اختلفوا كشعب كامل بكل طبقاته وشرائحه[1].

بدايات الإندماج

وصول الآلاف من المهجرين إلى مدينة رام الله , رافق وصول مئات الآلاف إلى أمكنة عدة , وتوزعهم على أربع دول مجاورة أعتبرت أكثر الدول التي وجد المهجرون فيها هي : الأردن , وسوريا , ومصر, ولبنان , بفعل التهجير القسري المباشر , وغير المباشر[2] . هذا الحدث الذي حصل لرام الله , وغيرها من المدن , كان سببا في تغير وجه المدينة , من مجتمع هادئ متجانس , إلى مجتمع ثنائي الديانة , مع تقاليد وطبائع شتى .

فبالرغم من التشابه التام بين الثقافة , والتقاليد , واللغة بين عرب فلسطين , إلا أن عملية الإندماج واجهت صعوبات شتى , سواء أكانت في فلسطين ومدنها أم في خارجها . لكون المهجّرين مجموعات كثيرة , لم تعهدها المجموعات المضيفة لها على الإطلاق , كهجرات على الإطلاق . فنعت المهجّر بالخائن , وبائع الأوطان , من قبل المجتمعات المضيفة له[3] خارج فلسطين . هذه الأعمال , جعلت المهجرين يتكاتفون على شكل جماعات , ضد الحدث الرهيب الذي فاجعهم , والبحث عن كيفية المواجهة . إلا أن حاجاتهم الفسيولوجية , للأكل والشرب والنوم ، حتمت عليهم قبول دخولهم في هذا المجتمع الجديد . فمثلا , عملت نساء أهالي رام اللهـ تكاتفا مع رجالهن في تضميد الجراح , والتخفيف عن هول الكارثة للمهجريين , بل تقاسوا رغيف الخبز . تقول إحدى المعمرات في هذا المجال "كنت أخبز كل يوم اربعين رغيفا ، ومرات يزيد على ذلك ، ولم يكن يكفي جزءا

بسيطا للذين سكنوا بجوارنا من المهجرين ، ثم وجهنا المهجرين بعد أيام إلى السوق لأخذ حاجياتهم الآخذة بالإزدياد."[4].

وهذا يعني , دفع أهالي رام الله المهجرين للتفتيش عن الأعمال , بغرض الإعتماد على النفس , لكسب قوت عيالهم , ولو بشكل يومي ، والذي حتم نهاية إلى الإعتماد على النفس , والإندماج بسهولة في المجتمع الجديد شيئا فشيئا .

فحسب الأستنتاج الذي توصل اليه محمود ميعاري في دراسته سابقة الذكر, أن على المهاجر , أو اللاجئ , أو الوافد إلى مكان آخر , أن يغير من عاداته وطبائعه , حتى يستطيع الإندماج في المجتمع الجديد[5] ، إلا أن الأحداث جرت مع مر الزمن عكس ذلك في رام الله ، فقد اندمج وتأثر أهالي رام الله بالمهجّرين ، وتأثر السكان المحليين بهم , سواء في نمط المعيشة ، أو اللغة , التي أصبحت اللغة المدنية , بدلا من اللغة الريفية التقليدية , التي كانت لهجة أهالي رام الله سابقا[6] .

فمن أول مظاهر الاندماج المبكر بين المهجرين والسكان المحليين , هو الإنخراط في سوق العمل ، والبحث عن مصادر الرزق لدفع عجلة الحياة إلى الأمام , والتي تطورت مع الوقت , وأصبح المهجر ينظر إلى الأستقرار , والبحث عن الزواج , وبالتالي أدى إلى وجود الزواج بينهم (بين المهجرين أنفسهم)، ومما يدعم هذا القول , سجلات الزواج في المحكمة الشرعية في

رام الله التي كشفت عام 1948م ، أنه لم يسجل أبدا أي حالة زواج بين المهجرين والسكان المحليين بنوعيهم المسيحيين والمسلمين ، إلا الزواج الذي كان حاصلا قبل النكبة[7] .

إلا أن سجلات زواج كنيسة ديراللاتين في رام الله , أشارت إلى حالة زواج واحدة عام 1948م[8], بين المهجرين والمسيحيين التابعين إلى كنيسة دير اللاتين . في حين بدأت تظهر حالات زواج كثيرة بعد عام 1950م , بين أهالي رام الله والمهجرين . فقد سجل عام 1950-1951م , أكثر من عشر حالات زواج بين المسيحين المهجرين , وأهالي رام الله , وأكثر من 10 حالات زواج بين المسلمين المهجرين , والمسلمين في رام الله . ومع الوقت حاول كل منهما أن يتقبل الآخر . ويرجع السبب المباشر وراء هذه الحالات من الزواج , كما تشير سجلات الزواج , وقسائم العقود . هو قلة المهور , أو القرابة , أو الخوف من المستقبل المجهول . وهذا ما أكدته سجلات الزواج في محكمة رام الله الشرعية , أن بعض المهور وجدت بخمسة دنانيرأردنية , وهناك من المتزوجين من تزوج بدون مهر مسمى[9] , من المطلقات , أو السيدات الكبيرات في السن (العوانس) .

وأن هناك من أبناء المهجّرين , من تعمد البحث عن زوجة مطلقة , أو غير ذلك في رام الله ليتزوجها , بسبب وجود مطلقها في أمريكا[10].

وعند التصفح لسجل زواج كنيسة ديراللاتين , (المدون باللغة اللاتينية) , وجد أيضا أعدادا كبيرة من المهجّرين , من تزوج بالمواطنة المحلية ، وأن هناك من ساكني رام الله , قد تزوجوا بالنساء اللاجئات[11] بعد طول فترة الاستقرار . وهذا ما أوضحته قسائم الزواج , من تشابه في أسماء العائلات المسيحية . وهناك قسم كبير من المسيحين الذين سكنوا أمريكا , قد تزوج بالمرأة اللاجئة , وزفت إليه هناك[12] .

واللافت للنظر , أن أحد اللمهجّرين قد تعمد الزواج بثماني نساء من رام الله , وعلى فترات ، وهذا ما يفسر الغنى وكثرة الأملاك التي ورثها لأحفاده[13]. وهناك من المهجّرين المسيحيين من غير ديانته وأعتنق الإسلام , ليتسنى له الزواج مرة أخرى .

لذا , يمكن القول أن هناك تداخلا اجتماعيا بدأ يظهر بين أبناء المهجرين ، وآهالي رام الله ، مع إغفال الفوارق الإجتماعية , والظرف السياسي . ومن الملاحظ من هذا التداخل الإجتماعي , وجود أراض وممتلكات تابعة للمهجّرين في رام الله , المتمثل في الميراث التي أوضحته سجلات حج الإرث ، وقد وجد في سجلات حصر الارث , في محكمة رام الله الشرعية بين الأعوام 1955-1960م ، أن هناك الكثير من الأراضي قد دونت بأسماء المهجّرين[14] ، وأن نسلهم فيما بعد قد قسموا التركة فيما بينهم . وعند التصفح

لسجل حصر الإرث ، تبين أيضا أن هناك من المهجرين من قدم من يافا , واللد , والقرى المجاورة لهذه المدن ، وسكن في رام الله , وهذا ما وجد مدونا باسم المتوفى والموكلين بالأرث , مما يدعم انتقال الملكية , من آهلي رام الله سواء أكانت الملكية للأراضي , أو المحال التجارية , إلى أيدي المهجرين[15] .

ومن دلائل الإندماج الإجتماعي أيضا , بين المهجرين وأهالي رام الله , الإنتساب إلى الجمعيات , والنوادي , والغرفة التجارية , التي لم تفرق بين المهجّر , والساكن المحلي ، وتقديم الطلبات للبلدية لتسجيل المحال التجارية بأسمائهم كمستأجرين . فقد تم العثور في سجلات بلدية رام اللهـ , على من تأجروا محالا تجارية ، ووجود المهجرين فيها حتى اليوم[16]. وقد أجاب أحد الذين شملتهم المقابلات ، أن المحل التجاري الذي استأجره عام 1950م من البلدية , وفتح فيه محلا تجاريا - ومازال موجودا حتى اليوم مع ابنه البكر- ويدفع أجره سنويا قدرها 35 دينارا أردنيا للبلدية[17] .

وهناك أيضا من المهجّرين , من بقي المحل التجاري ملكا له , بسبب وفاة صاحب المحل التجاري , ولم يعرف لذريته أثر ، وأن المحل التجاري ما زال مع المستأجر, لا يعرف لمن يعطي الأجرة . الأمرالذي يدل على أن هناك اندماجا كاملا للمهجّر في بيئه رام الله[18] . ومع هذا فلم يحصل بين

المهجّرين , وآهالي رام الله أي سوء تفـاهم , أو فتنـة . بفضـل الـوعي التـام لأبناء البلد الواحد ، وأن الإيجابية الكبرى والوحيدة للنكبة , هي تحول رام الله إلى بلد ثنائي الديانة بدلا من ديانة واحدة .

ومما يؤكد الإندماج الإجتماعي أيضا , اختلاط الطلاب والطالبات في مدارس موحدة ، ودخول الطلاب المهجّرين المدارس المسيحية . على اعتبـار بأن بدايات المدارس في رام الله , هـي مـدارس تبشـيرية , مسـيحية افتتحـت عام 1869م , على أيـدي الكـويكرز القـادمين مـن أمريكـا[19] . وبعـد الشـعور بالإسـتقرار بيـن المهجريـن والمجتمـع الجديـد , حـدثت حـالات طلاق بيـن المهجرين أنفسهم , وحدوث المصاهرة بينهـم , وبيـن أبنـاء رام اللهـ وبناتهـا , اللواتي طلبن الطلاق من أزواجهن بوساطة محكمة رام الله الشـرعية , نظـرا لوجود الزوج في أمريكا . وهذا ما كشفته سجلات محكمـة رام اللهـ الشـرعية من إخطارات الطلاق الموجودة فيها[20] ، وتدوين حالات الزواج في عقود زواج جديدة ، بإشارة ثيب الـى العـروس الجديـدة , الـتي سـتزف مـن جديـد , وأن حالات الطلاق لم توجد أبدا في سجلات الكنـائس للـزواج ، إذ تحـرم الكنيسـة الطلاق للمسيحي , بعكس الديانة الإسلامية التي تحلل الطلاق للجنسين , إن رغب أحدهما في الإفتراق عن الآخر . ومما يثبت الإندماج الاجتمـاعي أيضـا , وجود أسماء عائلات جديدة أضيفت إلى أسماء عائلات أهالي رام اللهـ , مثـل

عائلة الصرصور, والطريفي , والنبالي ...والتي أصبحت عائلات معروفة في رام الله حتى اليوم[21].

مظاهر الإندماج الإقتصادي بين المهجّرين والسكان المحليين في رام الله

تعتبر أراضي رام الله هي أراض زراعية بالدرجة الأولى[22]. وأن المساحات الزراعية الشاسعة , كانت تكفي أو تسد رمق العيش لأهاليها . إلا إنه وبعد نكبة عام 1948م , وتهجير الأعداد الكبيرة من المهجرين إليها ، أدى الى تزايد هجرة أبناء رام الله إلى أمريكا , أكثر مما كان معتادا ، فقد ذكرت بعض المصادر , أنه قبل عام 1948م كان معدل من يهاجر إلى أمريكا حوالي 100 شخص كل عام ، وزاد هذا العدد بعد 1948م إلى الضعف ، بدعم من الحكومة الأمريكية التي كانت تدعم أيضا هذه الهجرة[23].

كان من نتائج هجرة رجال أهالي رام الله إلى الخارج , أن أهملت الزراعة , وأجرت المحال التجارية , وأصبح العمل مفتوحا للمهجرين ، فعملوا في الزراعة ، وأقاموا الجدران لمنع انجراف التربة ، وقلموا الأشجار , وفتحوا آفاقا أوسع في العمل الزراعي , وتركز إقتصاد رام الله بأيدهم ، وطوروا إقتصاد رام الله تطوراً لم يسبق له مثيل , إذا ما قورن بالسنوات قبل عام

1948م[24] . فقد زاد عدد المحال التجارية والمنشآت , من 40 دكانًا إلى 200 دكان عام 1953 , وذلك حسب احصائهم بلدية رام الله[25] .

والجدول التالي يبين أعداد المحال التجارية حتى عام 1970م :

شكل رقم (5) . ويظهر أعداد المحال التجارية في رام الله , من عام 1904-1970م . حسب الإحصائيات لغرانت , وبلدية رام الله , والباحث .

يشير هذا الجدول إلى النمو في أعداد المحال التجارية حسب إحصاءات بلدية رام الله , ومالية رام الله أيضا التي خصصت سجلا كاملا لتسجيل أعداد المحال التجارية بأنواعها , وأصحاب المالكين والمستأجرين . أما وجود عام 1970م في هذا الجدول , فللدلالة على النمو في أعداد المحال التجارية , من عام 1953 -1970م , لان الإحصائية دونت بهذا الشكل في سجلات المالية . وهذا ما عكس حالة من النمو الإقتصادي على المستويين الكمي والنوعي . أدى ذلك إلى تنوع كبير في المهن وتعددها , وفي أسماء المحال التجارية ، نظرا لدخول الكثير من أصحاب المهن الجديدة إلى رام الله , مثل صالون , ومطبعة , ونوفوتيه , وحلاق , وصيدلي[26]. وقد وجد ما يثبت ذلك في

سجلات الزواج في المحكمة الشرعية ، وذلك بالسؤال عن مهنة الزوج في عقد الزواج[27] .

وقد تبين في سجلات بلدية رام الله أيضا , أسماء المحال التجارية بأسماء عائلات المهجّرين التي دونت في سجلات البلدية , والغرفة التجارية كمستأجرين , أو فاتحي ورش صناعية صغيرة , تلائم المهن التي امتهنوها في ديارهم سابقا . فقد وجدت معامل الحدادة , والبلاط , والطوب , ومشاغل النجارة ، إضافة إلى المصانع القديمة , كمصنع لتقطير العرق , ومعاصر الزيتون , والطحينة , والخياطة , والصيدليات , والبنوك , والمخابز[28] .

لم يتأثر وضع رام الله الاقتصادي , بحكم وجود المهجّرين فيه , عن باقي مدن الضفة الغربية , في ظل الحكم الأردني , الذي أوجد السياسيات الإقتصادية , والتي أحكمت بخطط مدروسة ، وذلك بتركيز النشاطات الإقتصادية الهامة في الضفة الشرقية على حساب الضفة الغربية . إلا أن عائدات المهاجرين من أبناء رام الله , قد غطت هذه السياسات التي كانت سببا في تدني الوضع الإقتصادي , والمعيشي في باقي مدن الضفة الغربية ، وإرتفاع نسبة البطالة . مما أدى حدوث هجرات داخلية بين المدن الفلسطينية , واتجاه العديد منهم إلى رام الله , وعملهم في النشاط الإقتصادي غير الإنتاجي , مثل التجارة , والمحال التجارية , وقطاع الخدمات[29]

. هذه الهجرات الداخلية كانت اختيارية , على الرغم من أنها تخفي في طياتها الهجرة الإجبارية (القسرية) , نظرا لإفتقار مدن الضفة بالأسس الإقتصادية المخطط لها جيدا , وسياسة التميز التي استعملتها الأردن آنذاك[30] . وأن هذه الهجرات الداخلية قد أحدثت إرباكا في التوازن الديموغرافي بين سكان المدن الفلسطينية[31] ، نظرا لنوع المهاجرين الذين كانوا من فئة الشباب

إلا أن عوامل الجذب والراحة , التي وفرتها رام الله للمهاجر إليها , رغبت الكثير بالهجرة اليها . وهذا كان مسببا إلى زيادة عدد السكان بنسبة 5.3% بعد استقرار المهجرين فيها . أدت الهجرات الداخلية أيضا إلى التسريع بالهجرة إلى أمريكا ، وبأعداد أكثر ومنهم من هاجر مع زوجته لاحقا ، وهذا ما أكده الحاج رشيد ذيب , عندما قال , بأن ابنه قد هاجر عام 1956م بعد وجود موجات كثيرة من الهجرة إلى أمريكا , وأن ابنه قد رغّب باقي أبنائه في السفر إلى أمريكا , أسوة بأهالي رام الله . وكانت النتيجة من العائدات التي أرسلها له أبناؤه من الخارج , أن اشترى أرضا , ومحالا تجارية , وأصبح من أصحاب رؤوس الأموال في رام الله وأمريكا ، وأنه يزور أمريكا ويعيش فيها , أكثر من عيشه ومكوثه في رام الله[32].

أما الازدهار الإقتصادي الذي أصاب رام الله , فقد تركز في قطاع الخدمات والتجارة , على حساب باقي الجوانب الأخرى ، وذلك لاتباع الحكومة

الأردنية نفس النهج المتبع زمن البريطانيين . إذ ركزت على قطاع الخدمات في المدن التابعة لها في الضفة الغربية , كالإنضمام إلى الجيش وإلى التجارة , وقطاع الصحة , والتعليم ، كخطوة لاقتلاع الناس من أراضيهم ، وزراعة الأرض بالسرو والصنوبر , بدلا من تشجيرها بالأشجار المثمرة . فالمنشآت الصناعية أو الزراعية مثلا , والتي لم يزد عددها طيلة الحكم الأردني عن منشآتين اثنتين[33] ، لأن قطاع الخدمات , يسهل نوعية السلع المتبادلة لصغر حجمها , وسهولة تخزينها ، مثل علب السجائر, والكبريت , وأقلام الحبر , والقرطاسية , وأدوات المطبخ , وأدوات البلاستيك , والفواكه والخضار . وأن علاقة التبادل التجاري , تحدث بدون وسيط الحكومة , أي بين التاجر والمستهلك مباشرة ، الأمر الذي يزيد من الطالبين للعمل في هذه السوق ، وباستطاعتها استقطاب أعداد كبيرة من الأيدي العاملة , سواء أكانت مدربة أم غير مدربة .

وأنه كلما زاد عدد الداخلين فيه , زاد اتساع السوق . وكلما زاد عدد السكان في موقع السكن برزت الحاجة إلى البيع أكثر, وزادت طلبهم على السلع والخدمات . ويعتبر هذا القطاع له القدرة على امتصاص أيد عاملة جديدة ومتكررة[34] .

ويؤكد إبن خلدون هذا القول عن التجارة , إن التجارة تنمي المال بالبيع والشراء ، وإن البيع والشراء , يدل على رفاهية السكان[35]. هذا النوع من النشاط الإقتصادي الذي ساد رام الله اعتُبر سوقا تقليدية , بالرغم من اعتماده أحيانا على المنتوجات الزراعية والصناعة ، وأنه ابقى رام الله بعيدة عن التطور الصناعي الكبير , بسبب الركود التام للإقتصاد الوطني , كنتيجة للسياسة الأردنية المتبعة . وظلت الحاجة إليه لأنه يلبي الإحتياجات الأساسية لأفراد المجتمع ، هذه الحركات الإقتصادية , رفعت المستوى الإقتصادي لبعض الأشخاص , مع ارتفاع مستوى معيشتهم . مع إيجاد طبقة من التجار ورؤوس الأموال بدخل شهري متطور, وبأموال ظلوا بها مسيطرين على إقتصاد رام الله بالكامل ، وأن هذه الطبقة ظلت محافظة على وجودها لفترا ت طويلة , حتى بعد رحيل الحكم الأردني [36] .

وقد زاد من رؤوس أموال هذه الطبقة , عائدات أبنائها من الخارج , التي كانت دعما ثانيا وثابتا لاقتصاد رام الله ، وقد اعتمدت الحكومة الأردنية هي الأخرى على هذه العائدات . إذ قدرت في أوآخر الخمسينات بحوالي 9.5 مليون دينار, إضافة إلى المساعدات التي كانت تقدمها للحكومة الأردنية بريطانيا وأمريكا ، وقد عمدت الحكومة الأردنية تماشيا مع سياستها , إلى دعم الشركات في الضفة الشرقية على حساب الضفة الغربية , وقدمت دعما لـ 14

شركة أردنية , ولم تقدم دعما , إلا لشركة واحدة في الضفة , هي شركة الزيوت النباتية في نابلس[37].

ثانيا : التحولات الإقتصادية في رام الله بعد النكبة

عملت الحكومة الاردنية في بداية عهدها , على ضم الضفة الغربية إلى المملكة الهاشمية بشكل عام , والذي أدى إلى امتصاص أثر النكبة عن الفلسطينيين الذين كانوا تحت سيطرتها ، وأخفت السياسة التي ستتبعها لاحقا بمدن الضفة الغربية الرامية لإنجاح السياسة الإمبريالية الرامية الى إنهاء وطمس الشخصية الفلسطينية[38] ، والإهتمام بازدهار ونمو الضفة الشرقية عنها على حساب الأجزاء الشرقية من فلسطين (الضفة الغربية) . إلا أنها في البداية قد أرست الأمن ودعمت الرخاء للمواطن في الضفة الغربية بشكل عام ، وفي رام الله بشكل خاص ، وأن نمو الاقتصاد وزيادة عدد المحال التجارية في رام الله يدلّ على الأمن والآمان للمواطن الرملي الذي نعم في العهد الأردني، ودعمها البلدية أيضا بتنظيم العمل التجاري والبناء ، وإصدار نماذج من الرخص والمعاملات التي تصون حقوق المواطنين . ونظمت البناء حتى لا يكون بشكل عشوائي ، وتحولت الكثير من الورش الصغيرة إلى مصانع كبيرة ، بسبب العمالة الوافدة من الخارج ، وتوظيف رأس المال الخارجي فيها الذي حول رام الله إلى خلية نحل

عمل الجميع من أجل النهوض برام الله ، الأمر الذي دفع التجار إلى تأسيس الغرفة التجارية عام 1950م لتنظيم أمورهم ، وصون حركاتهم التجارية ، وتنظيم المحال التجارية بأسماء اصحابها[39] . ولتنظيم الحركات التجارية أكثر .

فقد عمدت الحكومة الأردنية إلى ترسيخ وتطبيق القانون الخاص بالرخص والمهن وقسمت التجار إلى فئات أولى , وثانية , وثالثة , ورابعة من نفس المهنة مثل : صانع الأحذية ، فكان صانع من الدرجة الأولى , وصانع من الدرجة الثالثة , وهكذا[40] . كذلك لم تقطع الحكومة الأردنية مراسلاتها مع البلدية , لدعمها وتنظيم أمورها وسماع الشكاوي , والمطالب المقدمة إلى الحكومة الأردنية ، فهناك الكثير من المراسلات التي وجدت في سجلات بلدية رام الله , التي بينت هذه المراسلات بين البلدية والحكومة الأردنية ممثلة بوزارة الداخلية ، ومرة وزارة الأشغال العامة ، وأخرى برئاسة الوزراء , إلى قائم مقام رام الله , ومتصرفها ورئيس البلدية[41] .

من ناحية أخرى , شهدت رام الله نمواً عمرانياً لسكن المهجّرين , وكانت في بداياتها من الإسبست والطوب , وسرعان ما تحولت إلى شقق سكنية , ومخازن تجارية , ولا سيما على امتداد الشارع العام , وتنظيم بناء المحال التجارية ، والبناء السكني المنظم في مخيم قدورة[42]

وجاء هذا الإهتمام برام الله , على اعتبار أن الضفة الغربية جزء لا يتجزأ من المملكة الأردينة الهاشمية ، وأن هناك تكاملا اقتصاديا عبر التاريخ الذي شمل حرية الأشخاص والأموال , ووحدة النقد المستخدمة في التداول ، وظل هذا قائما حتى عام 1967م , على اعتبار أن الضفتين هما وحدة إقتصادية واحدة , ضمن وحدة سياسية واحدة[43] .

إلا أن التمايز ما بين مدن الضفة الشرقية والضفة الغربية , قد ظهر في السياسة الإقتصادية للأردن في آواخر الخمسينيات ، حيث تم التركيز على مدن الضفة الشرقية , دونما الضفة الغربية ، والتقليل من شأن رام الله- إذا ما قيست بمدينة نابلس , أو الخليل . إلا أن رام الله هي الأوفر حظًا في اهتمام أبنائها المغتربين بها ، مما جعلها متميزة على غيرها من مدن الضفة الغربية , بوجود العمالة ومراكز العمل للوافدين اليها .

سهلت الحكومة الأردنية النشاطات الاقتصادية في مدن الضفة الشرقية[44] ، في حين كانت تعرقل أي نشاط اقتصادي في مدن الضفة الغربية مثل ، نابلس والخليل وغيرهما ، وكان يخصص لكل مدن الضفة الغربية حوالي 10% من موازنة المملكة الأردنية الهاشمية كل عام ، الأمر الذي يفسر وجود شركات منافسة في الأردن لشركات في الضفة الغربية ، مثل شركة

الإسمنت , ومصفاة البترول والفوسـفات . وعمـدت الحكومـة الأردنيـة , علـى تشجيع منافسة المشاريع الصناعية في الضفة الغربية .

ومن خلال الإحصائية التي قام بها الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني , تبين أن 38 منشأة صناعية , كانت موجودة في رام الله قبـل عـام 1948م ، وقد حافظت علـى عـددها تقريبـا طيلـة فـترة الحكـم الأردنـي ، ولـم تـزد إلا منشأتين اثنتين ، حتى وصل عـددها الـى 40 منشـأة حـتى عـام 1967م[45] . فهذا مؤشر على إهمال المنشآت الصناعية في رام الله ، مقارنة مـع ازديادهـا في مدن الضفة الشرقية ، مما دعا الكـثير مـن أصـحاب رؤوس الأمـوال فـي مدن الضفة الغربية , ومنهم سكان رام الله , إلى هجرة أصحابها إلى الأردن ، أو غيرها

وكذلك حولت الحكومة الأردنية من البنوك الفلسطينية مبلغ 1،6 مليون جنيه إلى الأردن ، وكأنها مع ميعاد أحـداث التاريـخ الـتي سـرعان مـا أفقـدتها الضفة الغربية ، لاحقا ووقوعها تحت الإحتلال الإسرئيلي[46] .

فقد عُوّضت رام الله عن الرأس المال الأردني بالعـائدات الـواردة مـن الخارج ، ونشطت الهجرات الداخلية أكثر إبّان الحكم الأردني لرام الله , وزادت الهجـرات منهـا إلـى أمريكـا . وقـد اسـتفاد المهجـرون مـن هـذا الحـراك الإجتمـاعي , مـن خلال تـوفر العمـل , وقـد سـدوا مسـد المهـاجرين إلـى

الأمريكيتين اقتصادياً . فكان للهجرة هذه أثـر علـى سـرعة انـدماج المهجّريـن في رام الله ، فاختلط المسلم بالمسيحي , وأدى ذلك إلى النشاط الـزائد فـي العمران , ونشطت حركة شراء الأراضي من قبل المهجّرين بأسـعار زهيـدة ، عندما استفادوا من العمل كأجراء في رام الله ، ومنهم من كان (يتسلل) الـى اللد والرملة والقرى القريبة المهجرة ، ويرجع بالأبقار والأغنام ، ويأخذ عوضها أراض من سكان رام الله ، الى أن أصبح جزء منهم من ملاكي رام الله . وهذ ما در عليه بالذهب فيما بعد[47] , وانتقلت بعض الأراضي إلى المهجّريـن عـن طريق المصاهرة والشراء[48] .

وكان من نتائج نمو رام الله اقتصاديا ، أن كثرت السيولة النقدية بين أيدي الناس ، فافتتح في رام اللهـ أربعـة بنـوك ، فكـان افتتـاح البنـك العربـي عـام 1950م ، تلا ذلك افتتاح بنك القاهرة عمـان والبنـك العثمـاني وبنـك انـترا[49] . وأن معظم النشاطات الإقتصادية سيطر عليهـا المهجـرون , بسـبب تفريـغ رام الله من معظم سكانها ، فمنهم من هاجر ، ومنهـم مـن عمـل فـي الوظـائف الحكومية , والآخرون من أجّر الـبيت والمحـل التجـاري , وبقـي يعتـاش علـى هذه العائدات ، وكان هذا دليلا على تحول رام الله من بيئة زراعيـة , إلـى بيئة تجارية وصناعية[50] . أما الزراعة فقد تم إهمالها لصالح الصناعة والتجارة .

افتتح في رام الله الكثير من المنظمات الأهلية , والنوادي , والجمعيات , مثل النـادي الأرثذوكسـي ، ومكتبـة رام اللهـ العامـة ، ورابطـة الكليـة الأهليـة للثقافة ، وجمعية مدرسة الأحد الأرثذوكسية ، والجمعية العربية الأرثذوكسية ، وجمعية العمـال العربيـة الفلسـطينية ، وجمعيـة رام اللهـ التعاونيـة للأشـغال اليدوية[51] . وهناك البعثات التبشيرية أيضـا ، والـتي كـان لهـا الأثـر الكـبير فـي توجه أهالي رام الله إلى أمريكا ، حتى تكاد رؤية عائلات (بأكملها) كوّنت جزءا من سكان مدينة ما في أمريكا فمثلا : في فلوريـدا , تـرى حامولـة دارالفـار ، ودارالشـقرة فـي تكسـاس , ودارجريـس فـي بيرمنجهـام ، ودار جغـب فـي نيويورك ، ودارعواد في واشنطن . حتى وصلت نسبة مـن هـاجر الـى أمريكـا من سكان رام الله حوالي 85 % ، وأن أصبح مـا يمثلـه العـرب الفلسـطينيون بشكل عام من نسبة سكان هذه المدن ما يتراوح بين 18-25 %[52]

وحسب إحصائية دائرة الإحصاءات المركزية في رام الله ، تبين أن نسبة أرباب الأسر الذين لهم أقارب في الخارج حوالي 72.9 % من سـكان منطقـة رام الله والبيرة . وتعتبر أمريكا أكثر الدول تواجدا لأهـالي رام اللهـ فيهـا . وأن نسبة 29.9 % من المقيمين في الخـارج يحملـون هويـات سـارية المفعـول ، وأن ما تبقى منهم يعتبر فاقدا للهوية ، وهذا ما يفسر قدم سفره[53]. وأن رأس المال كان متراكما مع أهالي رام الله في الخارج[54].

وفي دراسة أجراها جميل هلال على الضفة الغربية , في ظل الحكم الأردني , أكد أن الحكم الأردنى عمل على تجميد الإقتصاد في مدن الضفة الغربية , ومحاولة الحاق كل الضفة بالإقتصاد الأردني في الضفة الشرقية ، وجعل الكثير من الأيدي العاملة في هذه المدن ، ولا سيما , بعد مجيء المهجّرين الذين ملؤوا السوق بالأيدي العاملة ، إلى البحث عن أماكن عمل في الضفتين . وبالفعل فقد شهد النشاط الإقتصادي في الضفة الغربية تراجعا ، مع إغلاق العديد من المنشآت , والورش الصناعية الصغيرة والتجارية في مدن الضفة الغربية ، وتلا ذلك هجرة أصحاب رؤوس الأموال إلى الضفة الشرقية , على اعتبار بأن ميزات تمنح لمن يفتح منشآت أو ورش صناعية , أو زراعية في الضفة الشرقية[55]

بدات نتائج الدعم الحكومي يقطف ثماره , عندما وجد الكثير من المنشآت الجديدة على أراضي الضفة الشرقية , وذلك على حساب مدن الضفة الغربية ، وبالأخص مدن رام الله , والخليل , ونابلس . وأن مدينة رام الله , كانت صاحبة الإمتياز الأول في نقص المشاريع والورش الصناعية , أكثر من غيرها من مدن الضفة الغربية.

وأكدت مصلح[56] أيضا في دراسة أعدتها عن الصناعة في الضفة الغربية ، أن الحكومة الأردنية , سهلت الطريق لكل المستثمرين في الضفة الشرقية ,

في حين كانت تعرقل كل نشاط إقتصادي في مدن الضفة الغربية ، حتى الموازنة العامة للمملكة الهاشمية , كان يصرف منها القليل على مدن الضفة الغربية فقط . وكان هذا سببا في وجود منشآت , وشركات كبرى في الضفة الشرقية مثل شركة الإسمنت ، ومصفات البترول , وشركات الطاقة , والكهرباء , والفوسفات .

ولم تقتصر أعمال الحكومة الأردنية على هذا فحسب , بـل شـجعت منافسة المشاريع والورش الصناعية في مدن الضـفة , مثـل , مصـنع الأغذيـة في ماركا , الذي نافس شركات الصناعات الغذائية في الخليل, ومصانع مترو , وفينوس للشكولاتة في عمان , الـتي نافسـت معامـل سـلفانا فـي رام الله- . وأقرت منع شركة الزيوت النباتية في نابلس , من إنتاج صابون من نوع تواليت ، ومنحته لشركة في الضفة الشرقية . وتشير بعض الدراسات الأخرى أنـه لـم يكن في الاردن قبـل ضـم الضـفة الغربيـة إليـه , سـوى 27 شـركة صـناعية , وحوالي 15 مصنعا . وإذا ما قورنت هذه الأعداد من الشركات والمصانع عام 1954 , لتبين أنها في الضفة الغربية كانت 254 ورشـة صـناعية , مقابـل 171 في الضفة الشرقية ، مع العلم , أن هذا الرقم تضـاعف أضـعافا فـي الضـفة الشرقية عنه في الضفة الغربية عام 1960 [57].

هذه السياسة , أدت إلى هجرة أصحاب رؤوس الأموال من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية , مثل هجرة عائلة شومان , وعائلة طوقان الزيتين . فمن أصل 60 مليون جنيه فلسطيني في الضفة الغربية , تم تحويل 10 مليون جنيه ، وحول حوالي 1،6 مليون جنيه من البنوك الفلسطينية إلى الأردن كودائع للمواطنين[58] .

على الرغم من هذه العراقيل التي عملتها الأردن في عرقلة الإقتصاد الوطني في الضفة الغربية , إلا أن مدينة رام الله- تحدت هذه السياسات , وظلت محافظة على قوة اقتصادها بفضل العائدات الوافدة من المغتربين , ووجود الأيدي العاملة الرخيصة , ووجود أصحاب المهن المتعددة , التي وفدت اليها . مما زاد من افتتاح محال وورش صناعة , مثل مصانع الورق , والكرتون[59] , والأثاث , ومصانع الطوب , والبلاط , والشوكلاته .

فمن خلال استعراض السجلات الخاصة بالمحال التجارية في بلدية رام الله , تم العثور على الكثير من الوثائق الموجودة التي تثبت ذلك . حيث وجد الكثير من طلبات تغيير اسم المحل التجاري من مهنة إلى مهنة أخرى . وذلك حسب طلب المستاجر الجديد . وهذا لا يتم إلا بموافقة البلدية , ولكي يحصل على الترخيص اللازم ، كان لزاما عليه أن يحضر كشفا صحيا يفيد , بأنه مؤهل لهذه المهنة , مع التمديد الكامل للبنى التحتية للمحل .

وهناك عقود كاملة المواصفات لهذا الامر[60] ، وتم العثور أيضا , على مذكرة التحصيل للبلدية من أصحاب المحال التجارية , لتسديد ما عليهم من ضرائب . وأن البلدية كانت ترسل لهم إخطارات , إذا ما قاموا بتسديد ما عليهم من ضرائب مستحقة[61]

ولكي يكون العمل متقنا , زودت الحكومة الأردنية البلدية نماذج مروسة بالمذكرات , أو رسوم الرخص أو , نموذج طلب رخصة , أو الحرفة أو الصنعة[62] . والذي يشمل الإسم , ورقم الهوية , والعنوان , والتاريخ , ونوع الحرفة , وموافقة الصحة حسب المواصفات , من دهان , وقصارة ، ونفايات ، وماء ، ومرافق صحية[63] . وظل العمل متبعا بهذه التعليمات حتى يومنا هذا , حسب القانون الأردني . وقد تم العثور في سجلات بلدية رام الله أيضا , هذه التعليمات , حتى في ظل السلطة الوطنية الفلسطينية , التي اتبعت نهج الحكومة الأردنية .

فتم العثور على مخابرة رقم 5/2/3088 بتاريخ 14/12/1995 م , بخصوص رخص الحرف والصناعات ، وبموجبه تخالف البلدية كل من يخالف هذا القانون , ولم يتبع هذه التعليمات .

كذلك وكّل الكثير من أبناء رام الله المغتربين , من ينوب عنهم في دفع مستحقاتهم , سواء أكانوا لاجئين , أم أقرباء لهم ، وقد عثر في سجلات بلدية

رام الله , على الكثير من الوكالات غير القابلة للعـزل , للإنابـة عـن المهجريـن في دفع المستحقات للبلدية ، وتأجير المحال التجاريـة أو الأراضـي الزراعيـة ، وكان المهجّر يوقع عليها , مع أثبات رقم جوازالسفر للمالك . وهذا يـدل علـى أنه لا يحمل جنسية بلده بسبب قدمه في السفر[64] .

لم تتوان البلدية من الإتصال بالحكومة الأردنية في طلباتها , لإقامة منشآت , ومؤسسات , مثل بناء المستشفى الحكومي فيهـا ، أو دعمهـا لتعبيـد شوارع , وإيصال المواد المشتعلة , كالنفط وتصريف المياه . ومسـاعدتها فـي معاقبة المخالفين للقانون[65].

عملت الحكومة الأردنية على دعم البلدية بالقروض المالية , لقيامها بالخدمات على أكمل وجه . وعليه فقد بلغت قيمة القروض لها حوالي 5 آلاف دينار في السنة الواحـدة عـام 1960 م ، ووصـل إيرادهـا فـي نفـس العـام , حوالي 124 الف دينار ، إذا ما قورنت بالسنوات الأولى من الحكم الأردني[66] . وعثر في السجلات أيضا , تحويلات من الحكومة الأردنية إلى البلدية سنويا , إذ كانت تقدر بحوالي خمسة آلاف دينار من أصل 10 آلاف دينـار , طلبهـا رئيـس البلدية من الحكومـة , لتمويـل مشـاريع فـي المدينـة . وهنـاك وصـولات فـي سجلات البلدية تظهر المبالغ التي تم تحويلها , مع قائمة بكل التحـويلات الـتي وصلت البلدية , مع مدخولات البلدية كل عام حتى عام 1967 م[67].

من جهة أخرى , حصلت البلدية من أبنائها في الخارج , على تبرع بقطع أراض للبلدية كملك لها ، كتنازل تام عن أراض للبلدية , تعـود ملكيتهـا لإليـاس غانم , ويعقوب مفرح , وفرح غنام , وفليب غنايم , و خليـل شـحادة . وهنـاك نماذج التنازل كاملة المعلومات في سجلات بلدية رام الله[68] .

لذا يمكن القول , إن رام الله لم تتاثر أبدا بسياسة الحكم الأردني , القاضي بتقليص الدعم لمدن الضفة الغربية ، فكما أظهرت سجلات بلدية رام الله أن الحكومة الأردنية كانت تدعم البلدية بشكل كبير ، وكانت لها آذان صاغية لمطالب رؤوساء البلديات . هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى , عمل أبناء رام الله في المهجر , على تسديد النقص الذي لم تقم به الحكومة الأردنية بالأموال , لإكمال أو إنجاح المشاريع فيها . حتى أن الكثير من أهالي رام الله قد غير دخله , سواء أكان من التحويلات العائدة اليهم من المهجر , أو من العمل المأجور . فالكثير من الحرفيين الذين عملوا بحرفهم قبل عام 1948 م , قد غيروا هذه الحرف إلى الأفضل , سواء أكانوا من سكان رام الله , أم من المهجرين الذين وطؤوا أرض رام الله .

. التحولات الإجتماعية التي ظهرت في مجتمع رام الله

التحول , هو تغيير في نمط الحياة المقبول , إلى حياة أكثر تقبلا لأفكار جديدة عبر زمن معين. وهو مرتبط بالتغيير الإجتماعي , الذي وجد تغيرات حدثت في التنظيم الإجتماعي ، أو في بناء المجتمع , أو وظائفه , إلى أن ينتهي بالتغير في الثقافة . والتحول لا يمكن أن يكون إلى الأفضل فقط ، بعكس التطور الإجتماعي الذي يكون إلى الأمام[69] وأن التغير, أو التحول الإجتماعي في المجتمعات , لا يكون مؤقتا سريع الزوال ، وأن المجتمعات تتغيردائما , لتتماشى مع الواقع الجديد , والمتطلبات المستمرة[70]. وأن كثيرا من المجتمعات يحدث فيها تغير في الثقافة , والفكر , والعلاقات بين الأسر , واختلاط الأدوار , والأدوات التي نستخدمها في المجتمع من حين لآخر . لذا فهو يصيب البناء الإجتماعي , ويؤثر في هيكل النظام الإجتماعي , محدثا أثرا عميقا في المجتمع في فترة زمنية ، لا يمكن أن تدرك إلا بالوقوف على الحالة السابقة.

ويحدث هذا التحول في المجتمعات , دونما تخطيط له بشكل معين . ويتحول المجتمع من حالة التجانس , إلى حالة اللاتجانس , سواء أكان في الدين , أو الثقافة , أو العرق . وأن الثقافة كعامل في التغيير الإجتماعي باعتبارها حصيلة لتراكم الثقافات وفروعها نحو التقدم ، وخاصة في مجالات السلوك العام ، لذا يحاول الإنسان دائما أن يغير من طباعه , وأنماط سلوكه , بما يتفق مع مكان وجوده ، مما يدل على أن الإنسان لديه قابلية للتغيير .[71]

وتعتبر عملية الحراك الإجتماعي بين الشعوب , هي عامل مهم في بناء الحضارة الجديدة ، اذ اعتبر المهاجر أنه يحمل معه أداة التغيير دائما ، لأن الهدوء والإستقرار يعتبران علامة من علامات الضعف في الدولة . والمجتمع الضعيف , لا يمكنه أن يبني حضارة ، لأن من شروط بناء الحضارة , أو المدنية هو الحركة والهجرة التي تكون مصحوبة بأدوات التغيير ، وذلك أن الهجرة تحمل في طياتها العادات , والتقاليد , والثقافات الجديدة , التي تريد أن تنشرها داخل المجتمع المضيف لها[72] . على هذا الأساس، ما الذي تحول في مجتمع رام الله الأصلي؟ وهل ظل محافظا على نمط حياته وتركيبته الإجتماعية؟ أم حصل تغيير شامل في بيئة هذا المجتمع؟

واضح بأن رام الله , قد حصل فيها قبل عام 1948 م , هجرة أبناء طوائف مختلفة إليها , مثل الربضي , والرفايدة , ودبيني , والأعرج الخ.... فسرعان ما اندمجت هذه العائلات في مجتمع رام الله . نظرا للتوافق الديني بينها , واختلاف الثقافات , والتقاليد ، وحصل بين ابنائهم التزاوج والمصاهرة . بل انضمت بعض هذه العائلات تحت لواء عائلات أخرى , وذابت فيها . وبعد عام 1948 م , فقد اختلط المسلم بالمسيحي , والغني بالفقير , والمتعلم بالأمي ، الأمرالذي أدى إلى تحول واقع رام الله الإجتماعي إلى صورة جديدة .

أفاد محمد صافي خلال مقابلة معه ، "أن مجتمع رام الله قد انخرط بعضه ببعض , على عكس المدن الأخرى , أو المخيمات القريبة من رام الله . حيث ظل المخيم محافظا على نمط الحياة السابقة قبل اللجوء , وبقي عنوانا للجوء . بعكس وجود اللاجئين في رام الله الذين انصهروا مع مجتمع رام الله " . وأكبر دليل على الإنصهار , هوالبناء المجاور والملاصق أحيانا للسكان المحليين , وأن الكثير من المحال التجارية , مازالت بأسماء أهالي رام الله . وهناك من المحال من سجل باسم المهجّر بعد شرائه , أو توريثه إياه . ثم الحركات التجارية التي لم تميز أبدا بين المهجر والساكن المحلي[73].

في حين , لوحظ أن اندماج المهجّرين في رام الله , لا ينفي محافظة اللاجئ على هويته . ولا يخجل أن يعرف نفسه بأنه لاجئ , أو من سكان يافا , أو حيفا , أو بيت نبالا... وأن صافي يقول " أنه لا يخجل أبدا من موطنه الأصلي اللد ، بعكس أولاده الذين يعرّفون عن هويتهم بأنهم من رام الله , وهذا ما يفسر أيضا , وجود الجمعيات للمهجرين اليوم مثل جمعية بيت نبالا , وجمعية اللد الخيرية , وجمعية لفتا . لتبقى بلدانهم في ذاكرة الأجيال[74].

هناك تحول آخر, وهو الإنتماء إلى رام الله الذي فاق الإنتماء إلى مكان اللجوء , أو الطائفة ، وأن قضية قيس ويمن , قد اختفت منها تقريبا , بظهور الأحزاب السياسية التي احتوت المهجرين , وأبناء رام الله على نفس المستوى . وأن الحزب السياسي أصبح أقوى من الولاء للعائلة أو الطائفة . وقد ظهر

هذا في بدايات الحكم الأردني عندما سمحت بانشاء وظهور الاحزاب السياسية [75] ، وظهر في رام الله نوع من الامتزاج الكامل بين المسيحيين والمسلمين , كما ظهر في سجلات زواج كنيسة دير اللاتين التي أوضحت أن هناك زواج بين المسلمين والمسيحيين , وقد وجد قبول مثل هذا النوع من الزواج . وهذا ما أكده راعي طائفة كنيسة دير اللاتين ،أكثم حجازين في قوله :" أن الكنيسة لا تمانع في هذا النوع من الزواج , إلا أن الأهل يضعون عراقيل أمام هذا الزواج ، وأن الكنيسة تفضل زواجها من مسيحي . ولكن ما العمل إذا رغبت هي ، بالرغم من محاولتنا إقناعها بالتخلي عن ذلك"[76] .

وتؤكد إحدى المعمرات هذا النوع من الزواج ، وتنسبه إلى الحرية الموجودة في رام الله , التي تفرض علينا نحن المسيحيون والمسلمون على السواء . تقول : "بأن أولادنا في أمريكا يتزوجون ما يشاؤون من الأجناس ، فلماذا نحن نقف أمام بناتنا ؟ وأنها ساكنة في رام الله ، لماذا نقلق" ؟ . وتضيف : " أن ابنتي متزوجة من مسلم ، ويعيشون في رام الله ، وأولادها أحبهم كثيرا ، ولم أندم أبدا على هذا الزواج ، لدرجة أنني أفكر بأنني مسلمة عند زيارتهم في رمضان أو الأعياد الإسلامية[77] . وظهر كذلك ما يسمى بزواج المصلحة , أو زواج العائلات , والعائلة التي تنخرط في هذا الزواج ترفع مهر ابنتها كثيرا . وأن هذه الظاهرة تظهر بأن هناك امكانية الزواج , دونما الرجوع

الى أصل العائلة . مع وجود سيولة نقدية كبيرة بين أيـدي النـاس ، فمـن 100 دينار , كمتوسط لمهر العروس ، وصل في نفس الشهر مهـر عـروس أخـرى حـــــــــــــــــــــــــــوالي 500 دينـــــــــــــــــــــــــــــــــار[78].

وارتفعت أيضا حالات الطلاق في رام الله من قبـل الزوجـة , فتشـير سـجلات طلاق المحكمة الشرعية أن من بين 97 حالة طلاق في مدينة رام الله , كـان هناك 56 حالة طلاق قد طالبت بها المرأة أن تطلق نفسها من زوجهـا بسـبب بعده عنها[79] .

ظهر هناك تحول كبير في لغة أهالي رام الله ، إذ أن اللغة الأصلية لأهالي رام الله , هي اللغة الريفية . فقد تحولت إلى اللغة المدنية تاثرا بوجود أبناء المدن الأخرى , من يافا , وغيرها وتحدثهم باللغة المدنية . فالأصل أن يتأثرالمهجرون باللغة الريفية ، إلا أن آهالي رام الله غيروا لغتهم إلى المدنية .

كذلك ظهر هناك تغير وتحول في لباس أهالي رام الله , إذ تشير الصور التي تم العثور عليها لسكان رام الله قبل النكبة , أن لباسهم من السروال , والقمباز , والكوفية للرجال . وأن لباس المرأة , هو الثوب الطويل ذو الأكمام العريضة , مع لبس شال على رأسها , والوقاة بغض النظر عن كونها مسيحية أم مسلمة[80] . وأن النمط العام للباس قد تغير بتأثر أهالي رام الله من

الأمريكان والمهجرين ، فكانت البرنيطة والبنطال والسروال والجاكيت الطويل للرجال ، وبدأت تظهر فروقات في لباس المرأة , حسب تأثرها بلبس النساء اللاجئات و لباس الأمريكيات الوافدات الى رام الله .

كذلك ظهرت في رام الله طبقة من المتعلمين[81] , والتي كانت تفتقرها قبل عام 1948 . وذلك بفضل افتتاح معهد الطيرة ودارالمعلمين للوكالة ، وبناء الحكومة الأردنية مدارس للجنسين مثل , بناء مدرسة رام اللة الثانوية عام 1956م , وبنات رام الله الثانوية عام 1952. الذي أتاح التعليم العلمي , والعالي في أمريكا و أوروبا , بعد أن كان طبيبا واحدا وصيدليا واحدا[82] . وحصل تغير في أشكال ونمط البيوت ، إذ أصل البناء كان لا يتعدى غرفة , أوغرفتين (علوي وسفلي) . وأن هذا النمط , قد اختلف عند منتصف ونهاية الخمسينات , حتى تكوّن المنزل من عدة غرف . مع نشاط ملحوظ في حركة العمران التي نشطت في العهد الأردني[83].

أدى إلى تشغيل أيد عاملة , ونشاط المنشآت الأخرى ، إذ يقول الأستاذ نضال صبري[84] : أن النمو في حركة العمران والبناء ونمو الإقتصاد في المدينة الواحدة يوفر فرص عمل لأيد عاملة ويحد من البطالة ويشغل منشآت صناعية أخرى ، مثل المحاجر ومعامل البلاط والإسمنت والرخام ومعامل الطوب والكماليات ويشير نظمي الجعبة أيضا , أن التحولات في رأس المال المغترب إلى رام

الله بفعل أبنائها المغتربين ، قد حول رام الله من قرية صغيرة ذات أبنية متواضعة إلى بلد ذي مصدر رزق كبير مع ظهور التغير الملحوظ في طراز الأبنية[85] .

كذلك لعبت العلاقات الإجتماعية , بين المسلمين والمسيحين دورا في بناء المدينة ، فكان الإقبال على الأعياد الرسمية بين المسلمين والمسيحيين , وتبادل الهدايا ، وأن هذه الأديان لم تقف حاجزا أمام تقدم العلاقات الاجتماعية ، ومما يدعم ذلك مساعدة السكان بعضهم في الأمور الإقتصادية ، ووجود نوع من التكاثف الاجتماعي ، وافتتاح المؤسسات التي تقوم على رعاية المواطن بغض النظرعن ديانته .

وتعتبر رام الله , أولى مدن الضفة الغربية , التي يتمتع فيها السكان بقدر مقبول من الثراء ، مما انعكس هذا على أنماط السكن والبيوت ، وذلك بفضل العائدات التي تفد من المهجر ، والتي كان لها الأثر البالغ , والملحوظ في بناء إقتصاد رام الله لاحقا ، وهذا ما انعكس أيضا على نمط الحياة فيها[86] .

وإن من يسكنها اليوم ، يتبين له أن سكانها مقسمون إلى ثلاث فئات , من حيث الطبقة الإجتماعية والإقتصادية . حيث تجد أن الطبقة العليا (الفئة العليا) من أصحاب العقارات والُملاك , يسكنون أحياء خاصة بهم ، مثل حي المصيون . والفئة الثانية , وهي الفئة المتوسطة , التي تضم المهنيين , أمثال

المحامين , والأطباء , والمدرسين , فقد سكنت حي الطيرة . بينمـا نجـد الفئة الثالثة , هي الطبقة الفقيرة التي تسكن المخيمات المحاذية لرام اللهـ , مثـل , مخيم قدورة . إلا أن هذا الطرح لايمكن أن يتم على مكان السكن ، أو شـكل البيت ، أو المهنة التي يمتهنها المواطن[87] ، ولم تكن هذه المناطق حكرا علـى فئة واحدة ، بل يمكن أن تكون هناك تداخل بيـن فئات مختلفـة مـن السـكان في المنطقة الواحدة ، كحي الطيـرة , أو بطـن الهـوى أو شـارع المصـايف أو غيرها.

ففي مسح شامل للسكان في رام الله والبيره , الذي أجرته دائرة الاحصاء المركزية ، يشير إلى أعداد السكان الـذين يسـكنون رام اللهـ والـبيرة من مختلف المحافظات , مقارنة مع عدد السكان الأصليين ، كالآتي[88]:

شكل رقم (6) . ويظهر عدد المهاجرين إلى رام الله , هجرة داخلية من مختلف مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة .

تشير إحصاءات الجهاز المركزي للإحصاء إن عدد سكان رام الله وحدها , حتى عام 1997م بلغ 17 ألف نسمة ، منهم 2380 من هو لاجيء غير مسجل في وكالة الغوث[89]. وأن سكان البيرة وحدها بلغ أيضا 27 ألف نسمة ، وأن مجموع ما يوجد في المدينتين من الذين يحملون مكان ولادة

غير رام الله بلغ 11939 شخصا ، مما يزيد من مجموع السكان .

وتشير الإحصاءات كذلك , أن حوالي 4918 نسمة وجد مكان ولادتهم فقط في أمريكا[90] .

لذا , يشاهد اليوم , أن الكثير من أبناء المدن الفلسطينية الأخرى , تميل في هجرتها إلى رام الله بفعل عوامل الجذب الإقتصادي , ومراكز السلطة الفلسطينية الموجودة فيها . وما على المهاجر إلا أن يتأثر بسلوك , وعادات , ولغة أهالي رام الله , ليصبح واحدا منهم . ويمكن أن يستأجر بيتا أو يفتح محلا تجاريا أو يعمل أي مهنة تليق به ، ويمكن أن يسكن مع زوجته وأولاده ، وهذا ما يفسر هجرة الكثير من أبناء الشمال والجنوب من فلسطين إلى رام الله(كالخليل وبيت لحم وجنين و طولكرم و نابلس). وشكلوا جزءاً من سكان رام الله . ونجد اليوم الشباب والشابات قد تأثروا بعادات وسلوك رام اللهـ ، فنراهم يتقبلون المشي معا في الشارع دونما خوف ، مع انعدام هذا السلوك في الخليل أو جنين أو طولكرم كما يتقبل من الجميع في رام اللهـ . وهناك ظاهرة جديدة وملاحظة اليوم وهي تحول بعض المحال التجارية والنشاطات الإقتصادية الأخرى لأيدي أهالي الشمال مع وجود التغير أيضا بأسماء المحال التجارية مثل كوفي شوب ، انترنت وحاسوب ومحلات للهاتف الخلوي الخ.. ويلاحظ أيضا التهافت على شراء الشقق السكنية الجديدة والأراضي ، الأمر الذي يشجع غير أهالي رام الله على الإستثمار فيها ، وكل

هذا يصب في جيب أهالي رام الله أنفسهم أصحاب الأملاك والمحال التجارية وأنهم توجهوا إلى الهجرة ثانية إلى أمريكا ، .

ولكن يبقى السؤال المطروح , هل تختلف تركيبة السكان لمدينة رام الله مستقبلا بدخول سكان مدن الشمال والجنوب الفلسطيني بزيادة هذه الهجرات الداخلية اليها ؟ . وهل تشهد مدينة رام الله تفريقا للسكان الأصليين لصالح الوافدين الجدد ، وبيعهم العمارات الشاهقة والأراضي التي تغطى بالذهب؟ ؟!

الخاتمة

يتضح مما سبق ، أن هناك تحولات كثيرة قد حدثت في رام الله خلال الفترة الواقعة بين 1948-1960 ، وكان من أهم مسببات هذا التحول هو النكبة التي حدثت لأهالي فلسطين ، ولجوء الكثير منهم الى رام الله ، والتي لم تحسب في أي يوم من الأيام وقوعا لهذه الكارثة الانسانية حتى تستعد لمعالجتها . فلجوء أكثر من 9000 آلاف شخص ومكوثهم في رام الله ، سبب الكثير من المتاعب والكوارث والمشاكل بين السكان والمهجرين ، منها الاقتصادية والاجتماعية، والتي حدا بالسكان ان ينعتوا المهجرين ببائعي الأوطان والخونة ،ويكفي أن يقال عنه ....يا لاجيء .

إلا أنه بعد مجيء الحكم الأردني إلى رام الله ، وتغاضيها عن نشوء الأحزاب ، قد خفف ، بل قضى على هذه الظاهرة , وذاب المهجر وانصهر مع المواطن العادي ليخدما رام الله ، وليرتقيا بها إلى الأفضل .

إلا أن هناك فئة ليست بقليلة قد فضلت الهجرة إلى أمريكا على المكوث بين أهاليهم بدعوى الضائقة الاقتصادية ، وفعلا نجحت هذه الفئة من استقدام رأس المال الأمريكي إلى رام الله ، واشتماره في التجارة والعمران وشراء الأرض ،وقد ملأ المهجرون مكانهم في العمل سواء أكان في المحال التجارية أو الأرض ، وفي كثير من الأحيان كان يتم إيجار المحل أو الأرض والإتفاق على مبلغ معروف سنويا .

استغل المهجرون هذا الظرف الجديد ، فتاجروا وربحوا ، مما استعاد هذا الوضع على رام الله التي أغدقت بالأموال ، والتي سرعان ما حولت رام الله من القرية الصغيرة إلى المدينة التجارية الهامة , والأولى في الضفة الغربية , نظرا لموقعها الهام والمتوسط فيها.

ويوما بعد يوم , زاد تمسك المهجر بالمحل التجاري ، وأصبح أهم مصدر مالي عنده ، ما جعل المالكين الأصليين للمحال التجارية , أن يزيدوا من عدد بناء المحال التجارية , ويتم تأجيرها . فزادت ثروتهم من هذه الناحية ، ومن العمل التجاري في المهجر, من الناحية الأخرى ، لأنهم اعتادوا على هذا النمط من العمل في أمريكا , وتحوّلوا مع مر الزمن إلى أصحاب رؤوس أموال فاقت الأمريكيين أنفسهم .

ومع استقرار الوضع السياسي والإقتصادي في الضفة الغربية التي وقعت تحت الحكم الأردني عام 1948، ازداد النشاط التجاري في رام الله ، فتعاونت البلدية مع الحكومة الأردنية من أجل كيفية النهوض بالمستوى المعيشي العالي للسكان فيها ، فكانت هناك قوانين الرخص والمهن ، أسوة بقوانين عمل البلديات ، وصلاحية البلدية في الإشراف على المحال التجارية , والمنشآت وإصدار الرخص والمخالفات ، مما أدى إلى ترسيخ النظام ، وإظهار

العلاقة فيما بين المالك والمستأجر ، وحماية المستأجر طالما قام بدفع الأجرة للمالك ، والذي يفسر وجود المستأجرين حتى اليوم.

هوامش الفصل الثالث

1- محمد عودة . "حالة اللجوء ودورها في تطوير الهوية الفلسطينية" . مجلة آفاق للتطوير الإبداعي , مجلد 3 , ع 9/10 ,(2000 :120-135) . ص 124 .

2- خليل السواحري . التهجير القسري والرعاية الاجتماعية . ط 1 ، (عمان : منشورات دار الكرمل ، 1986) . ص 24 .

3- محمد طه صافي . مقابلة بتاريخ 24، 7، 2007 .

4- ندى حرز الله . مقابلة بتاريخ 19، 12، 2007 .

5- ميعاري . "حول الإندماج الإجتماعي في فلسطين" . ص 68 .

6- سليم تماري ونانديا الأنصاري . التغير الإجتماعي . ص 29 .

7- أنظر سجلات زواج في محكمة رام الله الشرعية . سجل عام 1949 .

8- انظر الملحق , الذي يشير إلى حالة زواج حصلت عام 1948 بين المهجرين وآهلي رام الله ، ملحق رقم (148) , وهذا ما أكدته أيضا حشمة شقرة في مقابلة معها بتاريخ 19، 12، 2007 . والتي قالت بأن هناك حالة تحفظ من زواج ابنائنا من المهجرين أو العكس ، بدعوى أنهم سيغادرون قريبا ، ولا نعرف خلفيات العريس .

9- أنظر سجلات زواج محكمة رام الله الشرعية . سجل عام 1957 ، 65846 و 69597 .

10- أنظر سجلات طلاق محكمة رام الله الشرعية . سجل عام 1949/1950 ، قسيمة رقم 65666

11- أنظر سجل الأكاليل الخاص بكنسة دير اللاتين في رام الله . من عام 1948-1980م

12- أنظر سجلات محكمة رام الله الشرعية . سجل حصر الإرث لعام 1955/1960 ، رقم 15 ، في الصفحات 95 ،140 ، 142، 152، 162 .

13- مقابلة مع حشمة , وذلك بتاريخ 19, 12, 2006

14- أنظر أنظر سجل حصر إرث رقم 15 الذي يشير إلى إرث المتوفى عند اقتسامه بين ورثته . وانظر أيضا , الملحق الذي يوضح ذلك في نهاية الدراسة . ملحق رقم (149 و150)

15- أنظر نفس السجل الذي يبرز مكان قدوم المهجر المتوفى .

16- أنظر سجل الحرف والمهن في بلدية رام الله

17- رشيد ذيب طه . مقابلة بتاريخ 20، 3، 2007 .

18- محمد الزين . مقابلة بتاريخ 20، 5، 2007 .

19- سمير قفعيتي . من ملفات الماضي -" قصة كنيسة القديس أندراوس الإنجيلية الأسقفية ". مجلة هذه رام الله ، ع 6 ، 2006 . ص 31 .

20- أنظر سجلات طلاق محكمة رام الله الشرعية . سجل عام 1953 . ص 12 , وص 56 , وص 68 , وص 71-33

21- أنظر ملحق رقم 143 , الذي يوضح أسماء العائلات الوافدة إلى رام الله أثر حرب عام 1948م .

22- أنظر الوثائق والملفات العثمانية , ملف رقم 142 , حجة رقم 619 , ص 114 , لعام 1059 هـ .

23- رياض منصور ." الجالية الفلسطينية " . ص 84 .

24- مصطفى مراد الدباغ . بلادنا فلسطين . ص 241 .

25- أنظر ملفات بلدية رام الله . إحصائيات البلدية ملف رقم ب ر 11/4 .

26- أنظر سجلات المهن في مالية رام الله . سجل عام 1971 . ذكر مسؤول القسم أن هذا السجل قد دون فيه جميع أصحاب المهن بأسمائهم وأسماء مهنهم قبل النكبة وحتى عام 1971 و، وأن هناك سجات أخرى تبين المحال الجديدة بأسماء أصحابها والمهن التي فتحت من أجلها ، والمتتبع في هذه السجلات يستنتج مدى التغيير في أسماء المحال التجارية كل مجموعة سنوات . وقد رفض المسؤول رفضا تاما تصوير أي جزء من هذا السجل الطويل نوعا ما ،على الرغم من إحضار إذن له بذلك من مدير عام وكالة التجارة والصناعة .

27- انظر سجلات زواج محكمة رام الله الشرعية . سجل زواج عام 1956-1957 الذي يظهر مع

غيره من السجلات المهنة التي يمتهنها الزوج ، وذلك عن سؤال في قسيمة الزواج عن المهنة .

وكذلك أنظر سجل الأكاليل التابع لكنيسة دير الروم الكاثوليك .

28- أنظرسجلات بلدية رام الله . سجل المهن.

29- جميل هلال . الضفة الغربية التركيب الإجتماعي والإقتصادي 1948-1974 . (بيرزيت : مركز الوثائق والأبحاث ، 1974) . ص 78 .

30- هاني مقبول . الأوضاع الديموغرافية في الضفة الغربية . ط 1 , (القدس : جمعية الدراسات العربية , 1987) . ص 332 .

31- جانيت أبو لغد . الطبعة الديموغرافية للشعب الفلسطيني . ترجمة زياد الحسيني ، (القدس : جمعية الدراسات العربية ، 1992) . ص 36 و 85 .

32- رشيد ذيب طه . مقابلة بتاريخ 20، 3، 2007 .

33- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني . مصدر سبق ذكره . ص 74 .

34- جميل هلال . الضفة الغربية – التركيب الإجتماعي . ص 67 .

35- إبن خلدون . مقدمة ابن خلدون . تحقيق , حامد أحمد الطاهر , ط 1, (القاهرة : دار الفجر للتراث , 2004) . ص 480 .

36- هلال . الضفة الغربية . ص 116 .

37- روز ماري مصلح . الصناعة في الضفة الغربية . ص 4 .

38- رياض منصور . ""الجالية الفلسطينية في الولايات المتحدة ودوافع الهجرة والواقع الديموغرافي " . شؤون فلسطينية , عدد 99 ,(2003 ؛85-105). ص 86 .

39- انظر الموقع الإلكتروني للغرفة التجارية www.ramallahahcci. org وفي مقابلة مع سكرتيرة الغرفة التجارية ، أكدت أن الغرفة التجارية قد أتلفت كل أرشيف الغرفة التجارية , وعوض عنها بالموقع الإلكتروني .

40- انظر سجل رخص المهن التابع لمالية رام الله .

41- انظر ملفات بلدية رام الله ملف رقم ب ر/11/3 وملف ب ر 4/14 .

42 -

نظمي الجعبة ، وخلدون بشارة . رام الله عمارة وتاريخ . مركز المعمار الشعبي (رواق), (رام الله : مؤسسة الدراسات المقدسية ، 2002) . ص 223.

43- المؤتمر الأول لرجال الأعمال الأردنيين والفلسطينيين . المشاريع الإقليمية المشتركة ودور القطاع الخاص فيها . (رام الله : ماس ، 1995) . ص 17 . نشرة خاصة .

44- روز مصلح . الصناعة في الضفة الغربية 1967-1979 ووضع مؤسسات العمل المأجور . مجلة شؤون فلسطينية ،ع 99 ، 2003. ص 3 .

45- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني . 2000، التعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت 1997 ، سلسلة تقارير المدن ، النتائج النهائية – مدينة رام الله – فلسطين .ص 75 ،جدول 42 .

46- سمير عبد الله صالح . سياسة النظام الأردني الإقتصادية تجاه المناطق المحتلة . ط 1 ، (القدس : الملتقى الفكري ، 1988) . ص 31 .

47- ندى حرز الله . مقابلة بتاريخ 19، 12، 2007 .

48- انظر سجلات حجج الارث رقم 15 لعام 1955-1960 .

49- أبو ريا . رام الله قديما . ص 224 .

50 – أبو ريا . رام الله قديما . ص 137-138 .

51- النيروز . رام الله . أنظر الصفحات 317-327 . أسماء الجمعيات والمؤسسات في رام الله مع تاريخ إنشائها .

52- رياض منصور . " الجالية الفلسطينية" . ص 94-95 . " اعتبر مصطلح فاقد الهوية للفلسطينيين بعد مجيء الإحتلال الإسرائيلي عام 1967 ووقعت كل المدن الفلسطينية بما فيه الضفة الغربية , تحت الحكم الإسرائيلي . وأن كل فلسطيني كان يغادر فلسطين إلى الخارج لأكثر من ثلاث سنوات , كانت الحكومة الإحتلال الإسرائيلي تسحب منه هويته الشخصية , وإذا رجع إلى الوطن يعتبر زائرا ويجب أن يغادر بموجب المدة التي تسمح له في تصرسح الزيارة , أو تأشيرة جواز السفر .

53- دائرة الإحصاءات المركزية . المسح الديموغرافي . ص 26 .

54- خليل أبو ريا . رام الله قديما . ص 140 .

جميل هلال . الضفة الغربية . ص 133 . -55

. 56- مصلح . الصناعة في الضفة الغربية . ص 5

صالح . سياسة النظام الأردني الإقتصادية تجاه المناطق المحتلة . ص 31 . -57

58- النيروز . رام الله . ص 224 . 59-

صالح . سياسة النظام الأردني . ص 33 . 60-

أنظرملفات بلدية رام الله . ملف رقم ب ر 4/ 11 ، وثيقة رقم 1372 ، وهناك الكثير من الوثائق التي توضح البنود لصاحب المحل التجاري لتغيير اسمه أو افتتاحه محلا جديدا .

61- أنظر سجلات بلدية رام الله . المخابرات الخاصة بالمواطنين ، مخابرة رقم 23 ، 79 ، 98 ، 99 .

62-

أنظر قانون الحرف والمهن التابع لبلدية رام الله لعام 1955 ، ولعام 1958 . حسب المادة رقم 14 .

63-

انظر ملف رقم ب ر/11/3 . للإطلاع على النماذج الخاصة . ، والذي يطلب من المواطنين شروط افتتاح المحل التجاري .

64- انظر ملفات بلدية رام الله ملف ب ر/1/4/1 الخاص بجلسات المجلس البلدي والوكالات الدورية , ويلاحظ وجود صاحب جواز سفر الجواز رقم 976250 .

65- انظرملفات بلدية رام الله . ملف المراسلات . سجل رقم ب ر / 11/2/3 , ويشير أيضا إلى المخالفات التي كانت ترسلها البلدية للمواطنين , والتي تقدر أحيانا من 1-10 دنانير أو حبس لمدة أسبوع .

66- أنظر ملف رقم ب ر 4/14 . الخاص بالمالية .

67- أنظرملف رقم ب ر 6/10 . وملف رقم ص. ق/70/39/328 .

68- نفسة ملف أملاك البلدية رقم ب ر /7/32 . 69-

الضبع . التغير الإجتماعي . ص 25 . 70-

الدقس . التغير الإجتماعي بين النظرية والتطبيق . ص 13 . 71-

فادية الجولاني . التغير الإجتماعي مدخل النظرية الوظيفية لتحليل التغير . ص 25 .

72- علي شريعتي . تاريخ الحضارة .ترجمة حسن نصري ، مراجعة حسن نصري ، ط 1 ، (بيروت : دار الأمير للثقافة والعلوم , 2006) . ص 112 .

73- محمد صافي . مقابلة بتاريخ 24، 7، 2007 .

74- أبو ريا . رام الله قديما . ص 136-140 . 75-

نفسه . ص 39 . 76- أكثم

حجازين . مقابلة أجراها محمد مصطفى بتاريخ 11،8، 2007 . في رام الله . 77-

حشمة شقرة . مقابلة بتاريخ 19، 12، 2007 . 78- أنظر

سجلات زواج محكمة رام الله . سجل عام 1956- 1957 79 -

انظر سجلات طلاق محكمة رام الله الشرعية . سجل عام 1956 /1957 رقم 22

80- انظر الملحق رقم 156 الذي يبين لباس سكان رام الله .

81- شادي الناطور مقابلة أجراها معه محمد مصطفى بتاريخ 10، 7، 2007 . في مدينة رام الله.

82- النيروز . رام الله . ص 257 . وانظر أيضا الصفحات 258-277 التي تظهر فيها أسماء شخصيات من رام الله مثل ، بولس شحاده 1882-1943الذي عمل معلما ، واسعد قسيس ، وإبراهيم الكعيبني ، وبهية فرح التي كانت أول امرأة تحمل شهادة الصحافة ، وجميلة ميخائيل ، التي عملت معلمة ، وجورج شطارة ، وجورج الصاع ، وحنا الصاع ، وخليل طوطح ، وخليل أبو ريا الخ.....

83- فاهوم الشلبي وعودة شحادة . تقارير إحصائية – جامعة بيرزيت . ص 20 .

84- نضال صبري . الإسكان لقطاع ريادي داخل الإقتصاد الفلسطيني . (جامعة بيرزيت : مركز الوثائق والأبحاث , 1998) . ص 4 .

85- نظمي الجعبة , وخلدون بشارة . رام الله عمارة وتاريخ . ص 233.

86- تماري . التغير الإجتماعي . ص 10

نفسه . ص 11-87

88- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني 2000. التعداد العام للسكان والمساكن والنشآت ، 1997 . سلسلة تقارير المدن ، النتائج النهائية ، مدينة رام الله – رام الله – فلسطين . ص 245.

89- نفسه . ص 247 . 90-

. الجهاز المركزي للإحصاء . كتاب الإحصاء السنوي . ج 5 . ص 145

خاتمة الدراسة

يتضح مما سبق ، أن رام الله كانت قرية تابعة للقدس , وأنها كانت تدفع الضرائب للملتزمين بعدة آلاف من القروش , يختلف المبلغ باختلاف الأعوام , والملتزمين الذين كان يرسى عليهم المزاد من قبل الحكومة العثمانية . اعتبرت معظم أراضي رام الله هي وقف للحرم الإبراهيمي في الخليل , وأن هناك الكثير من الوثائق العثمانية الموجودة في أبو ديس ما تحدثت عن ذلك , بل دونت ما كان ينفق على الحرم الإبراهيمي , والحرم الشريف في القدس من نفقات .

تعرضت رام الله لموجة كبيرة من المهاجرين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين , أمثال , آل الربضي , ودبيني والعجلوني . ومن داخل فلسطين هاجر اليها آل حشمة من صفد , والرفايدة من نابلس , والأعرج من القدس . استقرت هذه العائلات في رام الله , ودخلت في النسيج الإجتماعي , وكونت العائلات الموجودة في رام الله , إضافة إلى عائلات الحددة . على الصعيد الآخر , هاجر العديد من أبناء رام الله إلى الأمريكيتين في أوائل القرن العشرين , مخلفين وراءهم المساحات الشاسعة من الأراضي , التي استفاد منها المهاجرين اليها والمهجرين الفلسطينيين لاحقا .

تعرضت رام الله أيضا , لموجة من المهجّرين الفلسطينيين عام 1948 ، بفعل النكبة التي حلت بفلسطين ، من قبل العصابات الصهيونية المدربة , والتي عملت على التطهير العرقي للفلسطينيين عن مدنهم وقراهم ، وإعلان قيام دولتهم على أنقاض هؤلاء المهجرين .

شكلت هذه النكبة , وما تلاها من ترحيل ، عاملا مهما في إثراء رام الله ، وتطورها وازدهارها وذلك باستفادة هؤلاء المهجّرين من الخلخلة السكانية الحاصلة في رام الله ، جراء هجرة أبنائها الى الخارج ، تاركين الأراضي الزراعية والبيوت السكنية . والتي امتصت الأيدي العاملة الكبيرة التي خلفها التهجير ، فسكن الكثير من المهجّرين البيوت ، وعمل الكثير منهم في الأراضي الزراعية ، ورعي الأغنام ، والتي كانت سببا إضافيا في وجود الأملاك لهم ، وسببا في اندماجهم في المجتمع المضيف لهم .

عمل هذا المجتمع الجديد يدا بيد في بناء رام الله ، مستفيدين من المساحات الشاسعة من الأراضي التي عمروها بالزراعة ، فأنتجوا المحاصيل الزراعية المتعددة مثل ، الزيتون والتين والعنب والبرقوق ، بالإضافة إلى المزروعات الشتوية والصيفية ، التي زادت من دخل السكان ، بسبب استفادة القادمين من المدن الشمالية للضفة الغربية إلى القدس ، والذين يتحتم عليهم المرور من رام الله ، وتكوين طبقة من التجار الذي حملوا البضائع الى الأديرة

في القدس ، وأوصلوا بضائعهم الى جنين ونابلس ، بل إلى حلب وغيرها ، وأغدقوا رام الله بالبضائع الأخرى .

كان وضع رام الله تحت الإنتداب البريطاني عام 1917 ، قد زاد من هجرة أبنائها إلى الأمريكيتين وأوروبا ، بدلا من الهجرات التي كانت تؤمها سابقا ، فقد هاجر الكثير من أبنائها إلى المهجر ، وكونوا ثروات هائلة ، الأمر الذي كان عاملا مساعدا في النهوض باقتصاد رام الله لاحقا ، كبديل للركود الإقتصادي الذي خلفه الإنتداب البريطاني فيها .

توضح سجلات المحكمة الشرعية في القدس , أن جميع أملاك رام الله كانت أرضا موقوفة , إلا أن انتهاء الحكم العثماني بعد الحرب العالمية الأولى , ووقوع فلسطين تحت الإنتداب البريطاني , سهل انتقال ملكية الأراضي إلى أيدي السكان , ومنهم سكان رام الله , الذين استأجروا المساحات الشاسة من الأراضي , واستئجارهم للعقارات , سنوات زادت عن تسعين عاما , وبناء العقارات الإضافية على الأراضي المستأجرة , وتلكؤ الأوقاف في جمع ريع العقارات , والأراضي , أدى إلى سيطرة العديد من الناس على أملاك الوقف . وهذا ما أكده مسؤول الوقف في خطاباته للقائمين على الوقف بمتابع هذه الأمور , محاولا من المسؤولين عدم ضياع هذه الأراضي . إلا أنها بقيت بين أياديهم حتى الآن , ومسجلة بأسمائهم .

اندماج المهجّرين في رام الله لاحقا ، أثر في البنى الإقتصادية والإجتماعية ، إذ ظهرت عائلات بمسميات جديدة ، سواء أكانت عائلات مسيحية أو إسلامية ، لم تشهدها رام الله سابقا ، مع ظهور عادات وتقاليد جديدة ، أثرت على السلوك العام بين أبنائها ، وكان من أبرزها تغيير لغة أهالي رام الله ، ونمط اللباس ، والإبتعاد قليلا عن العائلة ، والإنصهار في الحزب السياسي كبديل عنها . من ناحية أخرى ، صاهر أبناء رام الله المهجّرين ، وقد ساعد وجود أبناء رام الله من الرجال في المهجر، سببا في دخول المهجرين باب المصاهرة ، والذي زاد من أملاكهم لاحقا ، سواء أكان في العقارات ، أو الأراضي .

وجود الأعداد الكبيرة من المهجرين المسلمين ، حتم على المجتمع الجديد أن يتقبل دينا آخر إلى جانب الدين المسيحي ، وبناء المسجد بجانب الكنيسة ، والإحتفال بالأعياد الإسلامية إلى جانب الأعياد المسيحية المختلفة ، ونهاية تحويل رام الله من بلد ذي ديانة واحدة إلى بلد ذي ديانتين ، مع تبادل الهدايا في أي مناسبة دينية للطرفين .

أما من الناحية الإقتصادية ، فقد تحولت رام الله من بيئة زراعية إلى بيئة تجارية بالدرجة الأولى ، وتمركز إقتصادها بيد المهجرين ، مع وجود كبير لأبنائها في المهجر إذ قدرت نسبة من هم من أبنائها في رام الله بحوالي 15% فقط ، وتمركز أبناء العائلات في المدن الأمريكية .

لم تتوقف الهجرات إلى رام الله ، بل زادت الهجرات الداخلية اليها ، إذ قصدها الكثير من أبناء مدن فلسطين ، ولا سيما بعد وقوعها تحت الحكم الاردني 1948-1967 ، فقد أمتها عائلات بأكملها من القدس وجنين ونابلس وطولكرم وأريحا ، متخذين رام الله مهدهم بعد وجود فرص العمل الكثيرة ، ونجاحهم في هذا النشاط . فهل يمكن أن يتحول إقتصاد رام الله لاحقا من أيدي المهجرين إلى أيدي المهاجرين إليها من أبناء مدن شمال فلسطين.

قائمة المصادر والمراجع

1- آمنة ابو حجر . موسوعة المدن الفلسطينية . ج 1 ، (عمـان : دار أسـامة للنشر ، ط 1 ، 2003).

2- إبن خلدون . مقدمة أبن خلدون . تحقيق ، حامـد أحمـد الطـاهر ، ط 1 ، القاهرة : دار الفجر للتراث ، 2004)) .

3- إبن منظور . لسان العرب . ط 1 ، (بيروت : دار صادر ،المجلد السادس ، 1997)

4- أبو ريا ، خليل . رام الله قديماً وحديثاً . 1980 .

5- أبو لغد ،جانيت . الخصائص الديموغرافية للشعب الفلسطيني . (بيروت : دار النضال للطباعة والنشر، 1986( ).

6- أنسي , محمد على . الدراري اللامعات في منتخبات اللغات . (بيروت : محكمة بداية بيروت , 1318 هـ).

7- أيوب ، سمير. البناء الطبقي للفلسطينيين .(بيروت : صامد للتوزيع والنشر , 1984).

8- بابه ، إيلان . التطهير العرقي في فلسطين . ترجمة ، أحمد خليفة ، ط 1 ، (بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، 2007).

9- باشا ،غلوب. مذكرات غلوب باشا ، حياتي في المشرق العربي . ط 1 ، ترجمة عبد الرحمن الشيخ ، (عمان : الأهلية للنشر والتوزيع).

10- بنفيتسي ، ميرون . الضفة الغربية وقطاع غزة ، بيانات وحقائق أساسية ، ترجمة ياسين جابر ، مراجعة وتقديم خالد عابدين ، ط 1 ، (عمان : دار الشروق 1987).

11- بني مورس . طرد الفلسطينين وولادة مشكلة اللاجئين/ وثيقة إسرائيلية . ط 1 ، ترجمة دار الجليل ، (عمان : دار الجليل للدراسات ، 1993).

12- تماري ، سليم . مستقبل اللاجئين الفلسطينين . ط 1 ، (بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، 1996) .

13 - ---------- (إشراف وتقديم) . التغير الإجتماعي في مدينة رام الله ، المورفولوجيا والترييف والإقتصاد غير الرسمي . نائل يونس ، نديم حمودة ، ناديا الأنصاري ، سلسلة آفاق فلسطينية ، أبحاث متفرقة ،"4" ،(جامعة بيرزيت ، 1991) .

14- جرار ، ناجح. اللاجئون الفلسطينون . ط 1 ، (القدس : الجمعية الفلسطينية الأكادمية للشؤون الدولية 1994).

15---------- الهجرة القسرية الفلسطينية . ترجمة سمير محمود ، (جامعة . النجاح الوطنية ،1995). _____

16- الجعبة ، نظمي ، بشارة ، خلدون . رام الله عمارة وتاريخ. مركز المعمار الشعبي ، (رواق) ، (رام الله : مؤسسة الدراسات المقدسية ، 2002) .

17- الجولاني ،فادية. التغير الاجتماعي ، مدخل النظرية الوظيفية لتحليل التغير. (الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ، 1993) .

18- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني 2000 . التعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت ، 1997 . سلسلة تقارير المدن ، النتائج النهائية ، مدينة رام الله ــ رام الله فلسطين .

19- الحمد ، جواد ، والراشدان ، عبد الفتاح . مستقبل اللاجئين الفلسطينيين وفلسطيني الشتات . ط 1 ، (عمان : مركز دراسات الشرق الأوسط ، 2002).

20 - حياتي ، إبراهيم وآخرون . العرب في أمريكا ــ صراع الغربة والإندماج . (بيروت : مركز دراسات الوحدة ، 2003م).

21- الخطيب ، محمد نمر . أحداث النكبة، نكبة فلسطين ج 2. (بيروت : دار الحياة ، ، 1997) .

22- خداش ، زياد ، والبرغوثي ، مهيب . رام الله الحلم ــ رام الله المكان . شهادات أدباء فلسطنين عبروا المدينة . إشراف نهلة قورة ، (رام الله : بلدية رام الله ،2002)

23- دائرة الإحصاءات العامة . دراسة الهجره الداخلية والعائدة والقوى البشرية عام 86 , (عمان : دائرة الإحصاءات العامة ، 1989) .

24- دائرة الإحصاء المركزية 1996 . المسح الديموغرافي للضفة الغربية وقطاع غزة ، سلسلة تقارير الألوية ، لواء رام الله والبيرة ، رام الله فلسطين .

25- داود ، خالد. رام الله التي عشقتها حصارا . ط 1 ، (القاهرة : دار مصر المحروسة ، 2003).

26- الدباغ ، مصطفى مراد. بلادنا فلسطين. طبعة جديدة ، (كفر قرع : دار الهدى ، 2002/2003).

27- الدسوقي ، أحمد عزب . القبائل العربية في الشام منذ ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الأيوبي. ط 1 , (شبين الكروم : الهيئة المصرية العامة ، 1998).

28- الدجاني ، أمين حافظ. المدينتان التوأم ــ رام الله والسرة وقضاؤهما . 1993 .

29- الدقس ، محمد. التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق ، ط 2 ، ((عمان : دار مجدلاوي للنشر ، 1987 .

30- سالم ، وليد. حق العودة /البدائل الفلسطينية . ط 1 ، (القدس : بانوراما ، 1990).

31- سباط ، حسام محمد. اللجوء السياسي في الإسلام . ط 1 ، (بيروت : دار البيارق ،1997).

32- السواحري ، خليل . التهجير القسري والرعاية الإجتماعية . ط 1 ، (عمان : دار الكرمل ، 1986 .

33- شاهين ، عزيز . كشف النقاب عن الجدود الانساب في مدينة رام الله . (جامعة بيرزيت : مركز الوثائق والأبحاث 1982).

34- شريعتي ، علي . تاريخ الحضارة ، ترجمة حسن نصري ، مراجعة (حسن شعيب ، ط 1 ، (بيروت : دار الأمير للثقافة والعلوم 2006 .

35- شريف ، حسين . فلسطين من الحرب التوسعة لتحقيق إسرائيل الكبرى ، حتى انتفاضة الأقصى (1948 ــ 2002) . ج 4 , (الهيئة المصرية العامة ، 2003 .

36- الشلبي ، فاهوم وشحادة عودة . تقارير إحصائية ، (جامعة بيرزيت : مركز الوثائق والأبحاث .

37- شولش ، الكزندر . تحولات جذرية في فلسطين 1856 ــ 1922 . ط 2 ، 1993 (عمان : الجامعة الأردنية ، 1993).

38- صالح ، سمير . سياسات النظام الأردني الإقتصادية تجاه المناطق المحتلة . ط 1 ، 1988 (القدس : الملتقى الفكري العربي ، 1988).

39- صايغ ، روز ماري . الفلاحون الفلسطينيون من الإقتلاع إلى الثورة . تقديم إبراهيم أبو لغد ، ترجمة خالد عايد ، ط 1 ،(القدس : منشورات صلاح الدين ، 1983) .

40- صبري ، نضال رشيد . الإسكان كقطاع ريادي داخل الإقتصاد الفلسطيني . (جامعة بيرزيت : مركز الوثائق والأبحاث ، 1998).

41- الضبع ، عبد الرؤوف . التغير الإجتماعي . (الإسكندرية : المكتبة العصرية ، 2001/2002) .

42- عارف العارف . النكبة 1947-1952 . (صيدا : المكتبة العربية للطباعة والنشر ، 1956).

43- عدوي ، جمال. الهجرة الفلسطينية إلى أمريكا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1945 . ط 1 ، (الناصرة : المطبعة الشعبية 1993) .

44- علوش ، موسى . المهجريون . (بيرزيت : مكتبة جامعة بيرزيت ، 1991).

45- الفرحان ، يحيى. قصة مدينة رام الله والبرة . سلسلة المدن الفلسطينية "5" ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، دائرة الإعلام والثقافة في منظمة التحرير الفلسطسنية .

46- الفيروز أبادي ، محمد بن يعقوب . القاموس المحيط . ط 6 ، (بيروت : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، 1998) .

47- قدورة ، يوسف جريس . تاريخ مدينة رام الله . ط 1 ، (نيويورك : مطبعة الهددى 1954) .

48- الكيالي ، عبد الوهاب . موسوعة السياسة . ط 1 ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1994).

49- المالكي ، مجدي ، والشلبي ، ياسر . التحولات الإجتماعية والإقتصادية في ثلاث قرى فلسطينية . (القدس : مركز العمل التنموي / معا ، 1993).

50---------- .). الهجرة الداخلية والعائدة في الضفة الغربية وقطاع غزة .(القدس ورام الله : معهد أبحاث السياسات الإقتصادية الفلسطيني (ماس) ، 2000).

51- مسلم ، عدنان . صفحات مطوية من تاريخ فلسطن المحلي في القرن العشرين . ط 1 ، (بيت لحم : فلسطين 2002) .

52- مقبول ، هاني . الأوضاع الديموغرافية في الضفة الغربية . ط 1 ، 1987 ((القدس : جمعية الدراسات العربية ، 1987 .

53- هلال ، جميل. الضفة الغربية ــ التركيب الاجتماعي والاقتصادي (1948 ــ 1974) . (بيرزيت : مركز الوثائق والأبحاث ، 1974 .

54- النيروز ، إبراهيم . رام الله جغرافية ــ تاريخ ــ حضارة . ط 1 ، 2004 (عمان : دارالشروق ، 2004).

الدوريات

1- أبو عمشة ، عادل . "الوضع الإجتماعي في فلسطين أثناء الإضراب العام ١٩٣٦ " . الأسوار، ع 8 ،1988 : 176-229 ___ .

2- الإتحاد الأمريكي لرام الله – فلسطين . "مقتطفات من أحاديث رئيس الإتحاد مع الصحف العربية " . هذه رام الله ، ع 3 ، 1993: ص 25-30 .

3- بدر ، أنور . "اللاجئون الفلسطينيون في المنظور الاسرائيلي ". رؤية ، العدد 23 ، 2003 :43-60 .

4- الجوهر ، محمد . "العرب في ألمانيا ، السمات العامة والإندماج" . المستقبل العربي مجلد 28 ، عدد 322 ، 2005 :89-117

5- حامد ، ناصر. "المهاجرون في أوروبا بين مكافحة الإرهاب ومشكلة الإندماج" . السياسة الدولية ، مجلد 42 ، عدد 162 ، 2006 : 166-194 .

6- خليل موسى خليل . "كلمة رئيس بلدية رام الله في حفل استقبال العائدين من المهجر" . هذه رام الله ، عدد 3 ، 1999 : 45-50

7- دلو ، برهان الدين . "التحولات الإقتصادية الإجتماعية في فلسطين في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين" . الفكر الديموقراطي . ع 8 ، . ، 2005 : 49-72

8- الرفوع ، فيصل عودة . "تاريخ الهجرات اليهودية إلى فلسطين حتى عام ١٩٤٨ " . الوحدة ، مجلد 17 ، ع 73 ، 2004 : 28-39 .

9- سليمان ، ميخائيل. "المهاجرين العرب إلى الولايات المتحدة ". المستقبل العربي ، مجلد 20 ، عدد 230 ، 1988: 28-60 .

10- لاق ، عباس . "أضواء على الشتات الفلسطيني في أوروبا ". الدراسات الفلسطينية ، عدد 54 ، 2003 :81-118 .

11- شقير ، محمود . "رام الله التي هناك " . الكرمل ، عدد 68 ، 2001 : 260-275 .

12- الشلبي ، فاهوم ، وشحادة ، عودة . "الاوضاع السكنية في لواء رام الله ". صامد الاقتصادي ، عدد 69/70 ، 1987: 19-25 .

13- الشيخ ، وليد "أوروبا وقضايا الهجرة ، ومعضلة الأمن والاندماج" . السياسة الدولية ، عدد 165 ، 2006 : 68-75 .

14- عودة ، محمد . "حالة اللجوء ودورها في تطوير الهوية الفلسطينية" . مجلة آفاق للتطوير الإبداعي ، مجلد 3 ، عدد 9/10 ، 2000 . ص 120-135.

15- قفعيتي ، سمير . "من ملفات الماضي . قصة كنيسة القديس أندراوس الإنجيلية الأسقفية" . هذه رام الله ، عدد 6/7 ، 2006 :30-34 .

16- مصلح ، روز. "الصناعة في الضفة الغربية ١٩٦٧ ــ ١٩٧٩ ، ووضع مؤسسات العمل المأجور" . شؤون فلسطينية . عدد 99، 2003 : 3-32 .

17- منصور ، رياض . "الجالية الفلسطينية في الولايات المتحدة ودوافع الهجرة والواقع الديموغرافي ". شؤون فلسطنية ،عدد 99 ، 2003 : 85- 105 .

18- موشيه ،ساك ،إيشايم ، ايلي . "الإنتلجنتسيا الروسية في إسرائيل بين الإنعزال والإندماج" الدراسات الفلسطينية . عدد 38 ، 1999:108-119 .-

19- ميعاري ، محمود . "حول الإندماج الإجتماعي في فلسطين" . دراسات عربية . ، عدد 5/6 ، 1999/ 2000 : 61-76

20- يونس ،أحمد . "الهجرة إلى فلسطين والتهجير منها" . صامد الاقتصادي . ، مجلد 82 ، ع 12 ، 1990: 63-88

21- هيئة تحرير صوت المدينة . "مدينة البيرة تاريخ عبق وحاضر مشرق "، صوت المدينة ، 2003 : 4-6 .

21 - هيئة تحرير العودة . "أسباب هجرة بيت نبالا عام 1948 " .

العودة . عدد 138 ، 2003 :9-12

22- هيئة تحريرهذه رام الله . "مدارس البنات في رام الله ". هذه رام الله ،عدد 3 ،2005 : 33-35

23- هيئة تحرير هذه رام الله . "عزيز شاهين في ذكرى ميلاده المئة ". هذه رام الله ، عدد 5 ، 1992: 27-31 .

قائمة السجلات والوثائق العثمانية

أولا : سجلات محكمة رام الله الشرعية وهي :

1- سجلات الزواج لعام 1920-1930 .

2- سجلات الزواج لعام 1949-1960 .

3- سجلات الطلاق لعام 1950-1960 .

4- سجل إشهار الإسلام واعتناق الدين الإسلامي رقم 3 ، من عام 1949- 2008

5- سجل حجج حصر أرث ، سجل رقم 15 لعام 1955-1960 .

ثانيا : سجلات الكنس في رام الله :

1- – سجل الزواج رقم 4 لعام 1948-1988 التابع لكنيسة دير اللاتين رام الله .

2- – سجل الزواج التابع لكنيسة الروم الكاثوليك – سجل الأكاليل البطريركية الأورشلمية ، 1951- 1990 .

ثالثا : ملفات ووثائق بلدية رام الله وهي :

1- ملف اجتماعات المجلس البلدي .

2- سجل الصادر والوارد لعام 1948-1967 .

3- سجلات المحال التجارية وتراخيصها

4- ملف المخالفات .

رابعا : سجلات مالية رام الله .

1- سجل ،السجل الخاص بأسماء المحال التجارية وأنواعها ومالكيها رقم 1

2- سجل خاص بترخيص المحال التجارية ودرجاتها .

خامسا : وثائق وملفات غرفة تجارة رام الله .

السجلات الخاصة بأصحاب المحال التجارية ومالكيها وأنواعها وهي على البريد www.ramallahahcci.org الألكتروني .

سادسا : الوثائق والملفات العثمانية ،المحفوظة في مؤسسة إحياء التراث في أبو ديس . وهي:

1- الوثائق العثمانية للأعوام : 1280، 1328 هـ . و1315 - 1318

2- الوثائق والملفات الخاصة برام الله ، وهي مرقمة حسب الأرقام التالية :

1- ملف رقم 10/30ر 1/64/7 .

2- ملف رقم 10/83ر 1/41 .

3- ملف رقم 2/1ر 3/1284 هـ .

4- ملف رقم 2/8ر 3/1316هـ .

5- ملف رقم 2/3ر 1919 هـ .

6- ملف رقم 2/16ر 3/1925م .

7- ملف رقم 2/17ر 3/1328 هـ .

8- ملف رقم 2/1ر 1/1281 هـ .

3- الوثائق المحفوظة في الميكروفلم حسب الأعوام الهجرية التالية :

عام 947هـ ، وعام 955هـ ، وعام 1033هـ ، و عام 1059هـ ، وعام 1063 ، وعام 1253هـ .

مراجع باللغة الإنجليزية .

1- Davie, Mautice .Word Immigration , New York : The Macmillan Company ,1949 .

2- Kasses, Assad . The People Of Ramallah .Apeople Of Christian And Arab Heritage . Copy right . c .1971 by Assad Kasses .1971.

3- Pappe, Ilan .The Israel – Palestine Question . First Puplished,London- New York ,1999 .

4- Sayegh, Fayez . The Palestine Refugees . Foreworded By William Hoking , Washington : Amara Press , 1952 .

5- *Shaheen, Naseb .Apictorial History Of Ramallah .first edition , arab institute for research and puplishing, 1992 .*

الدوريات

1- Choveri, Nazli .Migration In The Middle East Old Economics Or New politics ? , Journal Of Arab Affairs , v 7-8 .N4

2- Ramallah The Bride Of Palestine.Miltary of Ramallah , 2000 .